
وَاهِم



اسم الكتاب: واهم.
المؤلف: فيصل الحاشدي.
رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٥٤١.
الرقم القومي: ٢٠١٧٥٩.
نوع الطباعة: ٤لون.
عدد الصفحات: ١٦٠.
القياس: ١٧×٢٤.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
تصميمات داخلية: وائل الشيخ
صف وتنسيق: إبراهيم عبد اللطيف
تصميم الغلاف: عادل المسلماني.

الإدارة

17 شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤١١٩١٠

أمام كوبري النزهة القديم - النزهة - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٣٨١٦٠٤٢

فرع القاهرة

درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - القاهرة.
تليفون: ٢٥١٢٠٦٢١

E-mail
dar_aleman@hotmail.com



وقفات من واقع الحياة أثبتت أن كثيرًا من الناس يتوهم أمورًا
غالبًا ما يكون الصواب خلاف ما توهمه





دار الإيمان
الإسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمات)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَوَهَّمُ[1] أُمُورًا، غَالِبًا مَا يَكُونُ الصَّوَابُ خِلافَ مَا تَوَهَّمَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» قَامَ حَتَّىٰ نَقُولَ: قَدْ أَوْهَمَ، ثُمَّ يَسْجُدُ، وَيَقْعُدُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، حَتَّىٰ نَقُولَ: قَدْ أَوْهَمَ[2][3].

---

(١) الْوَهْمُ: مَصْدَرُ قَوْلِهِم: وَهَمَ يَهِمُ، وَتَوَهَّمْتُ: ظَنَنْتُ، وَكَثِيرًا مَا يُسْتَعْمَلُ الْوَهْمُ فِي الظَّنِّ الْفَاسِدِ.

(٢) أَوْهَمَ: أَيْ: أَسْقَطَ مَا بَعْدَهُ، مِنْ أَوْهَمْتُ فِي الْكَلامِ أَوِ الْكِتَابِ: إِذَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ شَيْئًا، أَوْ مَعْنَاهُ: أَوْقَعَ فِي وَهْمِ النَّاسِ - أَيْ: فِي ذِهْنِهِمْ -.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِم (٤٧٣).



وَهَذَا نَظَائِرُ، قَالَ زُهَيْرٌ:

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً (١)

فَلأْيًا(٢) عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ(٣)

وَقَدْ بَدَا لِي أَنْ أَذْكُرَ طَرَفًا مِمَّا يَقَعُ فِيهِ الْبَعْضُ مِنَ الْوَهْمِ - وَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ مِنْهُ بَشَرٌ - وَذَكَرْتُ مَا ظَهَرَ لِي أَنَّهُ صَوَابٌ، وَلَنْ يَعْدَمَ الْقَارِئُ خَطَأً أَوْ وَهْمًا.

فَإِنْ أَخْطَأْتُ أَوْ أَوْهَمْتُ شَيْئًا

فَقَدْ يَهِمُ الْمُصَافِي بِالْحَبِيبِ

وكَتَبَهُ

أبو عبد الله

فيصل بن عبده قائد الحاشدي



(١) الحِجَّةُ - بِالْكَسْرِ -: السَّنَة، وَالْجَمْعُ حِجَجٌ - بِالْكَسْرِ -.

(٢) فَلأيًا - بِالْفَتْحِ - أَيْ: بَعْدَ جَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ وَإِبْطَاءٍ.

(٣) تَوَهُّمُ الشَّيْءِ: تَخَيُّلُهُ وَتَمَثُّلُهُ.



الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّم

وَاهِمٌ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الْعِلْمِ، وَلا يَجِدُّ فِي طَلَبِهِ، يَحْلُمُ فِي تَحْصِيلِهِ، وَلا يَسْعَىٰ لَهُ سَعْيَهُ، تَذْهَبُ لَيَالِيهِ وَأَيَّامُهُ فِي الأَمَانِيِّ الْفَارِغَةِ.

إِذَا تَمَنَّيْتُ بِتُّ اللَّيْلَ مُغْتَبِطًا (١)

إِنَّ الْمُنَىٰ رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ

أَلَيْسَ الْعِلْمُ يُنَالُ بِالتَّعَلُّمِ وَالْمُجَاهَدَةِ فِي طَلَبِهِ، وَبَذْلِ النَّفْسِ وَالنَّفِيسِ فِي تَحْصِيلِهِ؟!.

وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِغَيْرِ كَدٍّ

سَيُدْرِكُهُ إِذَا شَابَ الْغُرَابُ

وَشَتَّانَ بَيْنَ رَوْضِ الأَمَانِيِّ وَرِيَاضِ الْعِلْمِ!.

---

(١) مُغْتَبِطًا: مَسْرُورًا.

مَنْ كَانَ مَرْعَىٰ عَزْمِهِ وَهُمُومِهِ

رَوْضَ الأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولا

وَيْحَكَ[1]!، تَبْذُلُ فِي طَلَبِ الْمَالِ جَهْدَكَ، وَتُنْفِقُ عَلَيْهِ أَغْلَىٰ سَنَوَاتِ عُمُرِكَ، وَتَظُنُّ أَنَّ الْعِلْمَ لا يَحْتَاجُ مِنْكَ إِلَىٰ عَنَاءٍ!.

تَمَنَّيْتَ أَنْ تُسَمَّىٰ فَقِيهًا مُنَاظِرًا

بِغَيْرِ عَنَاءٍ، وَالجُنُونُ فُنُونُ

فَلَيْسَ اكْتِسَابُ الْمَالِ دُونَ مَشَقَّةٍ

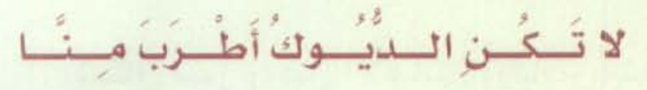
تَلَقَّيْتَهَا، فَالْعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ؟!

أَلَيْسَ كُلُّ مَا تَرَىٰ حَوْلَكَ عِبْرَةً؟!، فَهَا أَنْتَ تَرَىٰ أَنَّهُ مَا ابْيَضَّ وَجْهُ رَغِيفٍ حَتَّىٰ اسْوَدَّ وَجْهُ خَبَّازِهِ، وَمَا عَلَتِ اللآلِئُ الأَعْنَاقَ إِلاَّ بِمُعَانَاةِ الْغَوْصِ فِي الأَعْمَاقِ، وَمَنْ سَهِرَ اللَّيَالِي بَلَغَ الْمَعَالِيَ، وَإِذَا كَانَتِ السِّلْعَةُ غَالِيَةً رَامَتْ هِمَمًا عَالِيَةً.

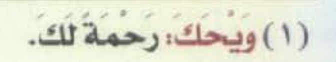
قُمْ بِنَا - يَا أَخِي - لِمَا نَتَمَنَّىٰ

وَاطْرُدِ النَّوْمَ بِالْعَزِيمَةِ عَنَّا

قُمْ فَقَدْ صَاحَتِ الدُّيُوكُ وَنَادَتْ



لا تَكُنِ الدُّيُوكُ أَطْرَبَ مِنَّا



(١) وَيْحَكَ: رَحْمَةً لَكَ.



عُشَّاقُ الْعِلْمِ

واهِمٌ مَنْ عَشِقَ الصُّوَرَ، وَهَامَ بِهَا، مَثَلُهُ كَمَثَلِ الشَّاةِ الَّتِي تَبْحَثُ عَنْ حَتْفِهَا بِظِلْفِهَا، هَلاَّ كُنْتَ لِلْعِلْمِ عَاشِقًا؛ فَإِنَّ لَهُ صُورَةً تُزْرِي بِكُلِّ صُوَرِ الدُّنْيَا، مَعَ مَا لَهُ مِنَ السُّمُوِّ وَالْمَكَانَةِ وَشَرَفِ الْمَنْزِلَةِ، لَكِنْ قَدْ قِيلَ: مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ.

فَإِذَا جَهِلْتَ فَاسْأَلْ، فَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: «وَأَمَّا عُشَّاقُ الْعِلْمِ فَأَعْظَمُ شَغَفًا[1] بِهِ، وَعِشْقًا لَهُ مِنْ كُلِّ عَاشِقٍ بِمَعْشُوقِهِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لا يَشْغَلُهُ عَنْهُ أَجْمَلُ صُورَةٍ مِنَ الْبَشَرِ»[2].

---

(١) الشَّغَفُ: الحُبُّ الَّذِي خَرَقَ شَغَافَ الْقَلْبِ (أَيْ: غِلافَهُ)، وَبَابُهُ مَنَعَ، وَشَغَفًا- أَيْضًا بِالتَّحْرِيكِ -.

(٢) «رَوْضَةُ الْمُحِبِّينَ» (٦٩).

وَقَالَ - أَيْضًا -: «وَلَوْ صُوِّرَ الْعِلْمُ صُورَةً؛ لَكَانَتْ أَجملَ مِنْ صُورَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ»[١].

وَاسْتَمِعْ لِلْعَاشِقِ:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلَذُّ لِي
مِنْ وَصْلِ غَانِيَةٍ[٢] وَطِيبِ عِنَاقِ
وَتَمَايُلِي طَرَبًا لِحَلِّ عَوِيصَةٍ[٣]
أَشْهَى وَأَحْلَى مِنْ مُدَامَةِ[٤] سَاقِ
وَصَرِيرُ أَقْلَامِي[٥] عَلَى أَوْرَاقِهَا
أَحْلَى مِنَ الدَّوْكَاءِ[٦] وَالْعُشَّاقِ
وَأَلَذُّ مِنْ نَقْرِ[٧] الْفَتَاةِ لِدُفِّهَا
نَقْرِي لأُلْقِي الرَّمْلَ عَنْ أَوْرَاقِي

---

(١) المرجعُ السَّابِقُ (٢٠١).

(٢) الْغَانِيَةُ: الْمَرأَةُ الْغَنِيَّةُ بِحُسْنِهَا عَنِ الزِّينَةِ، وَالْجَمْعُ غَوَانٍ.

(٣) الْعَوِيصَةُ -بِزِنَةِ الصَّحِيفَةِ-: الْمَسْأَلَةُ الْغَامِضَةُ يَصْعُبُ اسْتِخْرَاجُ مَعْنَاهَا.

(٤) الْمُدَامَةُ - بِالضَّمِّ -: الخَمْرُ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ شَرَابٌ يُسْتَطَاعُ إِدَامَةُ شُرْبِهِ إِلاَّ هِيَ.

(٥) صَرِيرُ الأَقْلَامِ: صَوْتُهَا عِنْدَ الْكِتَابَةِ بِهَا.

(٦) الدَّوْكَاءُ: إِتْيَانُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ.

(٧) النَّقْرُ: الضَّرْبُ، وَبَابُهُ نَصَرَ.



أَأَبِيتُ سَهْرَانَ الدُّجَى[١]، وَتَبِيتُهُ
نَوْمًا، وَتَبْغِي - بَعْدَ ذَاكَ - لِحَاقِي؟![٢]



---

(١) الدُّجَى - بِزِنَةِ الهُدَى -: اللَّيْلُ إِذَا أَلْبَسَ كُلَّ شَيْءٍ.
(٢) «الكَشَّاف» (٤/٢٤٨).



مُنْتَزَهَاتُ الْقُلُوبِ

واهمٌ مَنْ ظَنَّ أنَّ السِّيَاحَةَ فِي الْبُلْدَانِ الجَمِيلَةِ، وَالأمَاكِنِ الْبَدِيعَةِ مِنْ مُنْتَزَهَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَلِمَ أَنَّهَا مُنْتَزَهَاتُ الْعُيُونِ، وَمُنْتَزَهَاتُ الْقُلُوبِ إِنَّمَا هِيَ رِيَاضُ الْكُتُبِ، وَصَرِيرُ الأَقْلامِ.

وَالْمُتَصَفِّحُ لِلْكِتَابِ يَرَى بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِ التَّارِيخَ الْقَدِيمَ وَالْحَدِيثَ،وَمَا يَسْتَقْبِلُ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ، وَرُبَّمَا اطَّلَعَ عَلَى الْجَنَّةِ، وَرَأَى الْحُورَ[١]، فَاشْتَدَّ شَوْقُهُ، وَرَأَى النَّارَ، فَعَظُمَ خَوْفُهُ، وَزَادَ يَقِينُهُ، فَأَيْنَ الثَّرَى[٢] مِنَ الثُّرَيَّا[٣]؟!.

---

(١) الْحُورُ: جَمْعُ حَوْرَاءَ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ شَدِيدَةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ وَسَوَادِهَا، وَلا تُسَمَّى الْمَرْأَةُ حَوْرَاءَ حَتَّى يَكُونَ مَعَ حَوَرِ عَيْنِهَا بَيَاضُ الْجِلْدِ وَرِقَّتُهُ،فَيَحَارُ فِيهَا الطَّرْفُ.

(٢) الثَّرَى - بِزِنَةِ الْفَتَى -: التُّرَابُ الْمُبْتَلُّ، وَالْجَمْعُ أَثْرَاءٌ.

(٣) الثُّرَيَّا - بِالتَّصْغِيرِ عَلَى جِهَةِ التَّكْبِيرِ -: النَّجْمُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِكَثْرَةِ كَوَاكِبِهِ مَعَ ضِيقِ الْمَحَلِّ.

وَمِنْ طَرِيفِ مَا يُذْكَرُ : أَنَّ أَبَا نَصْرٍ المِيكَالِيَّ - رَحِمَهُ اللهُ - قَالَ: «تَذَاكَرْنَا الْمُنْتَزَهَاتِ يَوْمًا، وَابْنُ دُرَيْدٍ حَاضِرٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْزَهُ الأَمَاكِنِ غُوطَةُ[١] دِمَشْقَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نَهْرُ الأُبُلَّةِ[٢]، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ سُنْدُ سَمَرْقَنْدَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَهْرَوَانُ[٣] بَغْدَادَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شِعْبُ بَوَّانٍ[٤]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نُوبَهَارُ بَلْخٍ[٥]. فَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: هَذِهِ مُنْتَزَهَاتُ الْعُيُونِ، فَأَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ مُنْتَزَهَاتِ الْقُلُوبِ؟.

قُلْتُ: مَا هِيَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟.

قَالَ: «عُيُونُ الأَخْبَارِ» لابْنِ قُتَيْبَةَ، و«الزَّهْرَةُ» لابْنِ دَاوُدَ، و«قَلْعَةُ المُشْتَاقِ» لابْنِ أَبِي طَاهِرٍ.

---

(١) الْغُوطَةُ - بِالضَّمِّ -: مَوْضِعٌ بِدِمَشْقَ كَثِيرُ الْمَاءِ وَالشَّجَرِ.

(٢) الأُبُلَّةُ -بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالْبَاءِ وَتَشْدِيدِ اللامِ-:مَدِينَةٌ قُرْبَ الْبَصْرَةِ مِنْ جَانِبِهَا الْبَحْرِيِّ.

(٣) النَّهْرُوان-بِفَتْحِ النُّونِ وَتَثْلِيثِ الرَّاءِ، وَبِضَمِّهَا-: ثَلاثُ قُرًى: أَعْلَى، وَأَوْسَطُ، وَأَسْفَلُ، هُنَّ بَيْنَ وَاسِطَ وَبَغْدَادَ.

(٤) شِعْبُ بَوَّانٍ - بِفَتْحِ الْبَاءِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ -: مَوْضِعٌ بِفَارِسَ، إِحْدَى الْجِنَانِ الأَرْبَعِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

(٥) بَلْخ - بِالْفَتْحِ -: مَدِينَةٌ بِخُرَاسَانَ.



ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَمَنْ تَكُ نُزْهَتَهُ قَيْنَةٌ (١)
وَكَأْسٌ تُحَثُّ (٢)، وَكَأْسٌ تُصَبْ
فَنُزْهَتُنَا وَاسْتِرَاحَتُنَا
تَلاقِي الْعُيُونِ وَدَرْسَ الْكُتُبْ (٣)



(١) الْقَيْنَة - بِالْفَتْح - : الأَمَةُ الْمُغَنِّيَةُ، وَالْجَمْعُ قَيْنَاتٌ، وَقِيَانٌ.
(٢) الْحَثُّ: الإِعْجَالُ فِي اتِّصَالٍ، وَبَابُهُ رَدَّ.
(٣) انظُرْ «إرْشاد الأريب» لياقُوتٍ (١٣٩/١٨).



عُشَّاقُ الْقِرَاءَةِ

وَاهِمٌ مَنْ جَمَعَ الْكُتُبَ، وَاجْتَهَدَ فِي جَمْعِهَا، ثُمَّ لا يُرَوِّضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ قِرَاءَتِهَا - أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُهُ.

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ - رَحِمَهُمُ اللهُ - حَرِيصِينَ عَلَىٰ الْقِرَاءَةِ، حَتَّىٰ وَهُمْ يَسِيرُونَ فِي الطُّرُقِ، أَوْ عَلَىٰ فِرَاشِ الْمَرَضِ.

فَفِي تَرْجَمَةِ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - يَقُولُ الأَبَنُوسِيُّ: «كَانَ الْخَطِيبُ يَمْشِي وَفِي يَدِهِ جُزْءٌ يُطَالِعُهُ»[1].

وَفِي تَرْجَمَةِ ثَعْلَبٍ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَىٰ النَّحْوِيِّ يَقُولُ ابْنُ خَلِّكَان: «وَكَانَ سَبَبُ وَفَاتِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ - وَكَانَ قَدْ لَحِقَهُ صَمَمٌ، وَلا يَسْمَعُ إِلاَّ بَعْدَ تَعَبٍ - فِي يَدِهِ كِتَابٌ يَنْظُرُ فِيهِ فِي الطَّرِيقِ، فَصَدَمَتْهُ فَرَسٌ، فَأَلْقَتْهُ فِي هُوَّةٍ[2]، فَأُخْرِجَ

---

(١) «السِّيَر» (١٨/٢٨١).

(٢) الْهُوَّةُ - بِزِنَةِ الْقُوَّةِ -: الْحُفْرَةُ الْبَعِيدَةُ الْقَعْرِ، وَالْجَمْعُ هُوًى.

مِنْهَا وَهُوَ كَالمُخْتَلِطِ[1]، فَحمِلَ إلَىٰ مَنْزِلِهِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ، وَهُوَ يَتَأَوَّهُ مِنْ رَأْسِهِ، فَمَاتَ ثَانِيَ يَوْمٍ»[2].

وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: «حَدَّثَنِي أَخُو شَيْخِنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ تَيْمِيَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ الجَدُّ إِذَا دَخَلَ الخَلاءَ يَقُولُ لِي: اقْرَأْ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَارْفَعْ صَوْتَكَ حَتَّىٰ أَسْمَعَ.

وَأَعْرِفُ مَنْ أَصَابَهُ مَرَضٌ مِنْ صُدَاعٍ وَحُمَّىٰ، وَكَانَ الْكِتَابُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَإِذَا وَجَدَ إِفَاقَةً قَرَأَ فِيهِ، فَإِذَا غُلِبَ وَضَعَهُ.

وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا قَالَ: ابْتَدَأَنِي مَرَضٌ، فَقَالَ لِي الطَّبِيبُ: إِنَّ مُطَالَعَتَكَ وَكَلامَكَ فِي الْعِلْمِ يَزِيدُ المَرَضَ. فَقُلْتُ لَهُ: لا أَصْبِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ. وَأَنَا أُحَاكِمُكَ إِلَىٰ عِلْمِكَ: أَلَيْسَتِ النَّفْسُ إِذَا فَرِحَتْ وَسُرَّتْ قَوِيَتِ الطَّبِيعَةُ، فَدَفَعَتِ المَرَضَ؟. فَقَالَ: بَلَىٰ. فَقُلْتُ لَهُ: فَإِنَّ نَفْسِي تُسَرُّ بِالْعِلْمِ، فَتَقْوَىٰ بِهِ الطَّبِيعَةُ، فَأَجِدُ رَاحَةً. فَقَالَ: هَذَا خَارِجٌ عَنْ عِلاجِنَا، أَوْ كَمَا قَالَ»[3].

---

(١) الْمُخْتَلِطُ: الْمُخْتَلُّ الْعَقْلِ.

(٢) «وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ» (١٠٤/١)، وينظر «الْبداية والنّهاية» (٩٨/١١).

(٣) «رَوْضَةُ الْمُحِبِّينَ» (٧٠).

وَقَالَ بعْضُهُمْ:

وَأَطْيَبُ أُوْقَاتِي مِنَ الدَّهْرِ خَلْوَةٌ
يَقِرُّ بِهَا قَلْبِي، وَيَصْفُوا بِهَا ذِهْنِي
وَيَأْخُذُ لِي مِنْ سَوْرَةِ الْفِكْرِ (١) نَشْوَةَ
فَأَخْرُجُ مِنْ فَنٍّ، وَأَدْخُلُ فِي فَنِّ
وَيَفْهَمُ مَا قَدْ قَالَ عَقْلِي تَصَوُّرِي
فَنَقْلِي عَنْ أُذُنِي، وَسَمْعِي بِهَا مِنِّي
وَأَسْمَعُ مِنْ نَجْوَى (٢) الدَّفَاتِرِ طُرْفَةً
أُزِيلُ بِهَا هَمِّي، وَأَجْلُو بِهَا حُزْنِي
يُنَادِمُنِي (٣) قَوْمٌ لَدَيَّ حَدِيثُهُمْ
فَمَا غَابَ مِنْهُمْ غَيْرُ شَخْصِهِمْ عَنِّي

وَقَالَ آخَرُ:

مَا لَذَّةُ الخَلْقِ فِي الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهِمْ
وَلا الْمُلُوكِ وَأَهْلِ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ

---

(١) سَوْرَةُ الْفِكْرِ - بِالْفَتْحِ - : صَوَابُهُ وَارْتِفَاعُهُ.
(٢) النَّجْوَى: الْمُسَارَّةُ.
(٣) الْمُنَادَمَةُ: الْمُجَالَسَةُ عَلَى الشَّرَابِ.

كَلَـذَّتِـي فِـي طَـلَـبِ الـعِـلْـمِ يَـا وَلـدِي

فَالْعِلْمُ مُعْتَمَدِي -حَقّاً- وَمُكْتَسَبِي

مَـا المَالُ، مَـا الأَهْلُ، مَـا الأَوْلادُ كُلُّهُمْ

أَلَذَّ عِنْدِي مِنْ عِلْمِي وَمِنْ كُـتُـبِي

فَمُؤْنِسِي دَفْتَرِي، وَالْعِلْمُ مُفْتَخَرِي

وَخَاطِرِي حَاضِرِي فِي الْعِلْمِ لَمْ يَغِبِ

كُلُّ المَسَـرَّاتِ غَـيْـرَ الْعِلْمِ فَـانِيَـةٌ

يَا حَبَّذَا الْعِلْمُ مِنْ فَخْرٍ وَمِنْ حَسَبِ

وَلا يَغُـرَّنَّكَ كَـوْنُ النَّاسِ قَـدْ هَجَـرُوا

أَهْلَ الْعُلُومِ، وَذَمُّـوهُمْ بِلا سَـبَبِ

فَـالْعِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْـرٌ لَيْسَ يَعْـدِلُهُ

كَـنْـزٌ مِنَ الـدُّرِّ، أَوْ كَـنْـزٌ مِنَ الـذَّهَـبِ





حُبُّ المَالِ وَالشَّرَفِ

مَا أَعْظَمَ وَهْمَ ذَلِكَ الأَخِ الَّذِي تَرَكَ طَلَبَ الْعِلْمِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الدُّنْيَا مُوهِمًا نَاصِحَهُ أَنَّهُ سَيَخْدُمُ دِينَهُ بِمَالِه، ثُمَّ لَمْ تَذْهَبِ الأَيَّامُ حَتَّى أَضَاعَ دِينَهُ قَبْلَ أَنْ تَضِيعَ دُنْيَاهُ، وَيَا لَيْتَهُ أَبْقَى عَلَى دِينِ نَفْسِهِ.

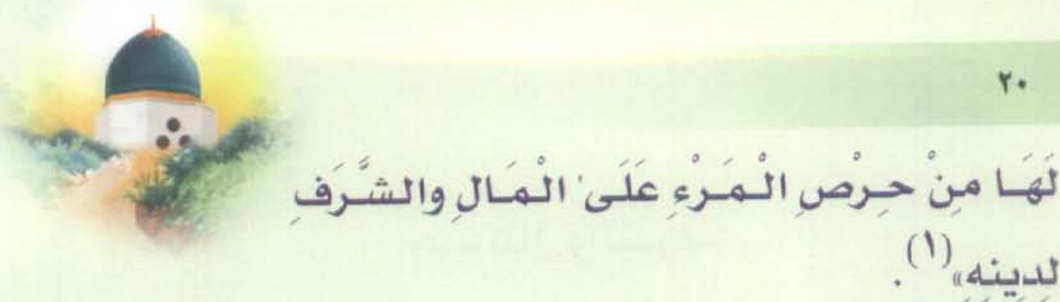
إِذَا أَبْقَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ

فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا لَيْسَ بِضَائِرِ

وَهَذَا حَالُ كَثِيرٍ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : «لا رَيْبَ أَنَّ الْحِرْصَ وَالرَّغْبَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الدَّارِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالسُّلْطَانِ - مُضِرٌّ؛ كَمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي زَرِيبَةِ [1] غَنَمٍ - بِأَفْسَدَ

(١) الزَّرِيبَةُ - بِزِنَةِ الصَّحِيفَةِ -: حَظِيرَةُ الْغَنَمِ مِنْ خَشَبٍ، تَأْوِي إِلَيْهَا.



لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَىٰ الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»[١].

فَذَمَّ النَّبِيُّ - ﷺ - الْحِرْصَ عَلَىٰ المَالِ وَالشَّرَفِ - وَهُوَ الرِّيَاسَةُ وَالسُّلْطَانُ - وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ الدِّينَ مِثْلَ أَوْ فَوْقَ إِفْسَادِ الذِّئْبَيْنِ الجَائِعَيْنِ لِزَرِيبَةِ الْغَنَمِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْحِرْصَ إِنَّمَا ذُمَّ؛ لأَنَّهُ يُفْسِدُ الدِّينَ الَّذِي هُوَ الإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ»[٢].

فَيَا طَالِبَ الْعِلْمِ، الدُّنْيَا كَالْمَرْأَةِ الجَمِيلَةِ المَغْرُورَةِ بِجَمَالِهَا، مَتَىٰ تَدْنُ مِنْهَا تَبْتَعِدْ عَنْكَ، وَمَتَىٰ تَبْعُدْ عَنْهَا أَتَتْ إِلَيْكَ صَاغِرَةً[٣]، فَابْتَعِدْ عَنْهَا؛ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَا هُوَ مَقْدُورٌ لَكَ.

---

(١) صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣٧٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الرَّوْضِ النَّضِيرِ» (٥ - ٧).

(٢) «الْفَتَاوَىٰ» (٢٠ / ١٤٢).

(٣) صَاغِرَةٌ: ذَلِيلَةٌ مُهَانَةٌ.



مَرَاكِزُ أَهْلِ السُّنَّة

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ مَرَاكِزَ أَهْلِ السُّنَّةِ لا تُخَرِّجُ الْعُلَمَاءَ

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾

[يونس: ٣٩].

فَمِنْ أَيْنَ تَخَرَّجَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ الأَعْلامُ: كَمَالك، والشَّافِعِيِّ، وَالإِمَامِ أَحْمَدَ، وَأَصْحَابِ السُّنَنِ، وَضُرَبَائِهِمُ [1] الَّذِينَ يُشَارُ لَهُمْ بِالْبَنَانِ؟!.

وَأَوْهَمُ النَّاسِ مَنْ ظَنَّ أَنَّ المَرَاكِزَ الْعِلْمِيَّةَ لَيْسَتْ بِطَرِيقٍ لِلرِّزْقِ، وَلَيْسَ لِطُلاَّبِ المَرَاكِزِ مُسْتَقْبَلٌ، وَهَذَا بَاطِلٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِع، فَالمُسْتَقْبَل بِيَدِ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - القَائِلُ:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطَّلاق: ٤].

فَإِذَا كَانَ قَصْدُهُ بِالْمُسْتَقْبَلِ الحُصُولَ عَلَىٰ الرِّزْقِ الَّذِي بِهِ قِوَامُ الحَيَاةِ . فَطَلَبُ الْعِلْمِ

(١) الضُّرَبَاءُ: الأَمْثَالُ وَالنُّظَرَاءِ، وَاحِدُهُم ضَرِيبٌ.

الشَّرْعِيِّ الَّذِي نُدَنْدِنُ حَوْلَهُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حُصُولِهِ؛ فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ -ﷺ- وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ[1]، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ»[2].

وَإِنِّي - بِفَضْلِ اللهِ - مِمَّنْ سَبَقَ لَهُمُ الدِّرَاسَةُ فِي مَرَاكِزِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْيَمَنِ، فَكُنْتُ أَجِدُ الرَّاحَةَ وَالسَّعَادَةَ، إِضَافَةً إِلَىٰ بَرَكَةِ الْمَسْجِدِ ، زِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ الرُّفْقَةَ الصَّالِحَةَ، فَأَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؟!.

يَا طِيبَ قَلْبَاهُ بِلُقْيَا إِخْوَةً
بِهِمُ اجْتَمَعْنَا فِي طَرِيقٍ أَوْحَدِ
تَوْحِيدُ رَبِّ النَّاسِ جُلُّ[3] مُرَادِنَا
وَبِخَيْرِ رُسْلِ اللهِ كُلٌّ نَقْتَدِي

---

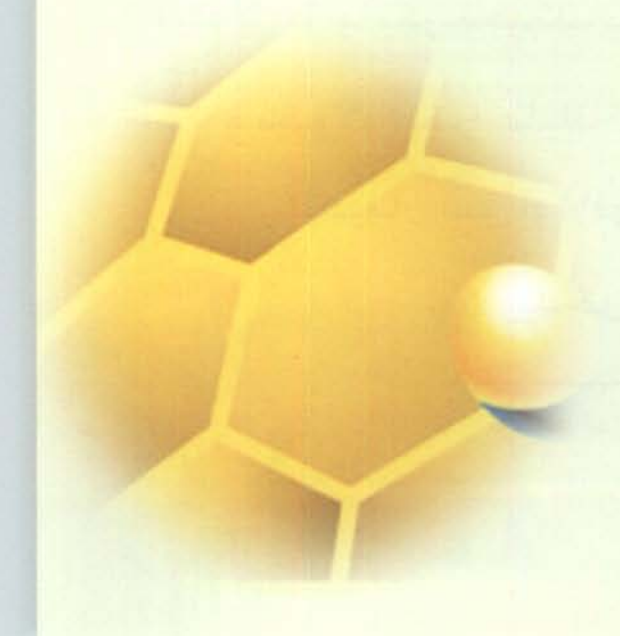
(١) يَحْتَرِفُ: يَكْتَسِبُ.

(٢) صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٩/٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاة» (٥٣٠٨)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الْوَادِعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي «الْجَامِع الصَّحِيح» (١٦٩٢).

(٣) جُلُّ الشَّيْءِ - بِالضَّمِّ -: مُعْظَمُهُ.



فَمَدَارُ مَنْهَجِنَا كِتَابُ إِلَهِنَا
وَالسُّنَّةُ الْعَصْمَاءِ(١) سُنَّةُ أَحْمَدِ
ثُمَّ الْهُدَى هَدْيُ(٢) الصَّحَابَةِ بَعْدَهُ
خَيْرِ الأُلَى مِنْ أَهْلِ قَرْنٍ أَمْجَدِ
الْزَمْ خُطَاهُمْ وَاقْتَفِ آثَارَهُمْ
دُونَ ابْتِدَاعٍ أَوْ غُلُوٍّ(٣) تَسْعَدِ



---

(١) الْعَصْمَاءُ: الْبَيْضَاءُ.

(٢) الْهَدْيُ - بِالْفَتْحِ - : الطَّرِيقَةُ وَالسِّيرَةُ.

(٣) الْغُلُوُّ: مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، وَبَابُهُ سَمَا.



أَخْذُ الْعِلْمِ عَنْ أَهْلِ الْبِدَعِ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَخْذِ الْعِلْمِ عَنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ والْبِدَعِ، وَهُوَ بِمَنْأًى عَنْ شُبُهَاتِهِمْ، وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ يَضَعُوا السُّمَّ فِي الدَّسَمِ مَا دُمْتَ مُحْتَاجًا إِلَىٰ عِلْمِهِمْ، غَيْرَ عَالِمٍ بِمَدَاخِلِهِ وَمَخَارِجِهِ.

وَيْحَكَ!، أَعْلامُ السَّلَفِ أَبَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ سَمَاعَ آيَةٍ بَيِّنَةٍ، أَوْ حَدِيثٍ صَحِيحٍ مَعَ عِلْمِهِمْ وَجَهْلِكَ.

فَهَذَا ابْنُ سِيرِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ رَجُلانِ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، فَيَقُولا: يَا أَبَا بَكْرٍ، نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ فَيَقُولُ: لا.

فَيَقُولا: فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ. فَيَقُولُ: لا، لَتَقُومَانِّ عَنِّي أَوْ لأَقُومَنَّ[١].

وَيَدْخُلُ رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ عَلَىٰ



(١) «اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٣٣).

ابنِ طَاوسٍ، فَجعَلَ يَتكَلَّمُ، فأَدخَلَ ابنُ طَاوسٍ - رَحمَهُ اللهُ - أُصبعَيهِ فِي أُذُنَيهِ، وَقَالَ لابنِهِ: «أَي بُنَيَّ، أَدخِلْ أُصبعَيكَ فِي أُذُنَيكَ وأَشدِدْ، لا تَسمَعْ مِن كَلامِهِ شَيئًا»[1].

بَلْ إِنَّهُم يَنهَونَ عَن حِكَايَةِ كَلامِهِم مَخَافَةَ الزَّيغِ بِسَبَبِهِ؛ لأَنَّ قُلُوبَهُم لَيسَتْ بِأَيدِيهِم.

فَهَذَا سُفيَانُ الثَّورِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - يَقُولُ: «مَن سَمِعَ بِبِدعَةٍ فَلا يَحكِهَا لِجُلَسَائِهِ؛ لا يُلقِهَا فِي قُلُوبِهِم».

قَالَ الذَّهَبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - تَعلِيقًا عَلَى كَلامِ الثَّورِيِّ -: «أَكثَرُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ عَلَى هَذَا التَّحذِيرِ، يَرَونَ أَنَّ القُلُوبَ ضَعِيفَةٌ، وَالشُّبَهَ خَطَّافَةٌ»[2].

وَبَعدَ هَذَا التَّطوَافِ مَعَكَ، دُونَكَ[3] نَصِيحَةً مِن أَيُّوبَ السَّختِيَانِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «لا تُمَكِّنْ أَهلَ الأَهوَاءِ مِن سَمعِكَ»[4].

---

(١) المَرجِعُ السَّابِقُ (١٣٥).
(٢) «الحِليَةُ» (٣٤/٧).
(٣) دُونَكَ: اسمُ فِعلِ أَمرٍ بِمَعنَى: خُذْ.
(٤) «السِّيَرُ» (٢٦١/٧).



التَّوْحِيد أُوَّلاً

واهِمٌ مَنْ جَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِ تَوْحِيدَ الصُّفُوفِ، ومَرْجِعُهُ أَفْكَارٌ وَاجْتِهَادَاتٌ بَشَرِيَّةٌ، فَكُلَّمَا انْخَرَقَ الثَّوْبُ عَلَىٰ الرَّاقِعِ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدمَ خَطَّاءٌ»، وَكُلَّمَا انْفَتَقَ مَا لا يُرْتَقُ قَالَ: نَتَعَاوَنُ فِيمَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ، وَيَعْذِرُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فيه، وَهَلُمَّ جراً.

فَهَلاَّ اتَّبَعَ مَنْهَجَ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ -، فَمِفْتَاحُ دَعْوَتِهِمْ تَوْحِيدُ الإِلَهِ، وَهُوَ أَسَاسُ تَوْحِيدِ صَفِّ المُؤْمِنِينَ بِاللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، وَصَفِّ أَصْحَابِ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ النَّقِيَّةِ الصَّافِيَةِ، كَمَا جَاءَ بِهَا جَمِيعُ الرُّسُلِ.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النَّحل: ٣٦].

فَأَسَاسُ تَوْحِيدِ الصُّفُوفِ البِدَايَةُ بِتَوْحِيدِ الإِلَهِ فِي عِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِ الرَّسُولِ فِي اتِّبَاعِهِ.



الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ

وَاهِمٌ مَنْ لا تَطْرَبُ نَفْسُهُ، وَيَهْتَزُّ وِجْدَانُهُ إلاَّ لِمِثْلِ قَوْلِ الْقَائِلِ:

فَأَكْثِرْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الخَطَايَا ... إذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى كَرِيمِ

وَيْحَكَ!، طِرْ إلَى مَوْلاكَ بِجَنَاحَي الْخَوْفِ[1] وَالرَّجَاءِ[2] مَا دُمْتَ حَيّاً، فَإِنَّ اللهَ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسْرَاء: ٥٧].

فَارْجُ إذَا خِفْتَ، وَخَفْ إذَا رَجَوْتَ، وَلْيَكُنْ حَالُكَ:

أَنَا بَيْنَ الرَّجَاءِ والخَوْفِ مِنْهُ ... وَاقِفٌ بَيْنَ وَعْدِهِ وَالْوَعِيدِ

وَلَكِنْ مَتَى أَحْسَسْتَ بِالثُّقْلِ وَقُرْبِ الرَّحِيلِ، فَاقْطَعْ جَنَاحَ الْخَوْفِ، وَبَالِغْ فِي إحْسَانِ الظَّنِّ بِمَنْ أَنْتَ إلَيْهِ صَائِرٌ.

---

(١) حَقِيقَةُ الخَوْفُ مِنَ اللهِ مَا حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَةِ اللهِ دَقَّت أَوْ جَلَّت.

(٢) الرَّجَاءُ هُوَ: الطَّمَعُ فِي رَحْمَةِ اللهِ ولا يَكُون العَبْد رَاجِيًا رَحْمَةَ اللهِ، حَتَّى يَسْتَقِيم عَلَى شَرعِ اللهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِقَوْلِ اللهِ وَتَعَالَى: ﴿ إنَّ الَّذِين آمَنُوا وَالَّذِين هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ ﴾ (البَقَرة: ٢١٨).



الشِّرْكُ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الشِّـــرْكَ لا وُجُـودَ لَـهُ فِي عَصْرِنَا

حَذَّرَ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - مِنَ الشِّرْكِ فِي آيَاتٍ عِدَّةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ -: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) ﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ﴾ [الرعد: ٣٦].

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ [لُقْمَان: ١٣].

وَحَذَّرَ رَسُولُ الله - ﷺ - مِنْ أَنْوَاعٍ شِرْكِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ[1]»[2].

---

(١) الأَوْثَانُ: الأَصْنَامُ، جَمْعُ وَثَنٍ - بِالتَّحْرِيكِ -، وَيُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَىٰ وُثُنٍ - بِالضَّمِّ -.

(٢) صَحِيحٌ، رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ (٥/٢٨٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٢٥٢)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٩٥٢) عَنْ ثَوْبَانَ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١٧٧٣).

وَلَقَدْ وَهِمَ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الشِّرْكَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ لا وُجُودَ لَهُ فِي عَصْرِنَا، وَهَذَا غَلَطٌ؛ فَالشِّرْكُ دَرَكَاتٌ (١) مُتَفَاوِتَةٌ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ آيَاتٌ عِدَّةٌ، وَرَدَ فِيهَا تَنْكِيرُ لَفْظَةِ «شَيْءٍ» بِمَا يُفِيدُ شُمُولَهَا وَعُمُومَهَا، مِنْهَا:

قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحَجّ: ٢٦].

وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأَنْعامُ: ١٥١].

وَعَلَىٰ ضَوْءِ مَا سَبَقَ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ الْمُحَتَّمَ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ الحَذَرُ مِنَ الشِّرْكِ عَلَىٰ تَنَوُّعِ مَرَاتِبِهِ، وَتَعَدُّدِ دَرَكَاتِهِ، حَتَّىٰ لا يَقَعَ فِي «شَيْءٍ» مِنْهُ (٢).

---

(١) دَرَكَاتٌ - بِالتَّحْرِيكِ -: مَنَازِلُ بَعْضُهَا تَحْتَ بَعْضٍ.

(٢) انْظُرْ: «الشِّرْكُ بَيْنَ الْقُبُورِ وَالْقُصُورِ» لِعَلِيِّ بْنِ حَسَنٍ. «الأَصَالَةُ» (١٨/٣).

وَلا يُنْكِرُ وُجُودَ الشِّرْكِ بِجَمِيعِ صُوَرِهِ إلاَّ جَاهِلٌ، وَمَنْ أَرَادَ الحَقِيقَةَ المُرَّةَ، فَلْيَتَسَلَّحْ بِالْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، ثُمَّ لِيَجُبِ الْعَالَمَ (١)، وَلْيَنْظُرْ فَقَطْ كَمْ هِيَ الْقُبُورُ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ تُعْبَدُ مَعَ اللهِ؛ فَإِنَّ الْحُكْمَ عَلَى الشَّيْءِ فَرْعٌ مِنْ تَصَوُّرِكَ لَهُ، نَسْأَلُ اللهَ عِلْمًا نَافِعًا.



---

(١) جَابَ الْعَالَمَ: قَطَعَهُ وَسَارَ فِيهِ، وَبَابُهُ: قَالَ.



التَّوَكُّلُ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ التَّوَكُّلَ انْطِرَاحُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، وَتَرْكُ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ الْمَأْمُورِ بِهَا شَرْعًا.

إِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَىٰ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - بِالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَتَفْوِيضِ الأَمْرِ إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ -، وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ مَعَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ الْمَأْمُورِ بِهَا، وَالاعْتِقَادِ بِأَنَّهَا لا تَجْلُبُ نَفْعًا، وَلا تَدْفَعُ ضَرًّا لِذَاتِهَا، بَلِ السَّبَبُ وَالْمُسَبَّبُ فِعْلُ اللهِ، وَالْكُلُّ بِمَشِيئَتِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عَنْ مَرْيَمَ - عَلَيْهَا السَّلامُ -: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا [1] جَنِيًّا [2] (٢٥) ﴾ [مَرْيَم: ٢٥].



---

(١) الرُّطَبُ: نَضِيجُ الْبُسْرِ قَبْلَ أَنْ يُتْمِرَ، وَاحِدَتُهُ رُطَبَةٌ.

(٢) الجَنِيُّ: مَا أُخِذَ مِنَ الثَّمَرِ طَرِيًّا، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَىٰ مَفْعُولٍ.

وهَذَا دَلِيل أَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَأْمُرُ بِاتِّخَاذِ الأَسَبَابِ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَهُزِّي﴾ فَأَمَرَ اللهُ بِذَلِكَ مَعَ إمْكَانِ تَقْدِيمِ ذَلِكَ الرُّطَبِ فِي صَحَائِفَ مِنْ ذَهَبٍ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِمَرْيَمَ:
إِلَيْكِ فَهُزِّي الجِذْعَ يَسَّاقَطِ الرُّطَبُ؟
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيَهُ مِنْ غَيْرِ هَزِّهَا
جَنَتْهُ، وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبُ [1]

---

(١) «بهْجَةُ الْمَجَالِسِ» (١٤٢/١).

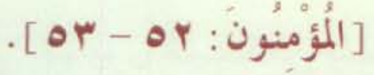


الْحزْبِيَّةُ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أنَّ الحزْبِيَّةَ هِيَ الطَّرِيقُ الأَقْوَمُ لِعِلاجِ مَرَضِ الأُمَّةِ، وَهَلْ يُرْجَىٰ دَوَاءٌ نَاجِعٌ مِنْ كَفِّ مَنْ يَشْكُو مِنَ الأَسْقَامِ؟!.

كَفَانَا أَنَّنَا أُمَّةٌ واحِدَةٌ، رَبُّنَا وَاحِدٌ، وَدِينُنَا وَاحِدٌ، فَلا نَحْتَاجُ إلَىٰ مَنْ يُفَرِّقُنَا شَذَرَ مَذَرَ(١)؛ لِيَسْهُلَ عَلَيْهِ اصْطِيَادُنَا؛ فَالذِّئْبُ إنَّمَا يَأْكُلُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةِ(٢).

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) ﴾



[الْمُؤْمِنُونَ: ٥٢ - ٥٣].



---

(١) شَذَرَ مَذَرَ - بِفَتْحِ الشِّينِ وَالْمِيمِ وَكَسْرِهِمَا، مَبْنِيَّيْنِ عَلَىٰ الْفَتْحِ - : أَيْ مُبَدَّدِينَ فِي كُلِّ وَجْهٍ.

(٢) الْقَاصِيَةُ: الْمُنْفَرِدَةُ عَنِ الْقَطِيعِ الْبَعِيدَةُ مِنْهُ.



الرَّدُّ عَلَى المُخَالِفِ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الرَّدَّ عَلَى شُبُهَاتِ المُخَالِفِ - وَلا سِيَّمَا إِذَا شُهِرَتِ المُخَالَفَاتُ وَعُرِفَتْ، وَانْتَشَرَتْ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ كَانَتْ - وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْغِيبَةِ؛ فَالرَّدُّ عَلَى المُخَالِفِ مِنْ أُصُولِ الإِسْلامِ؛ لأَنَّ السُّكُوتَ عَنِ الْبَاطِلِ يُؤَدِّي إِلَى تَحْرِيفِ الحَقِّ وَتَبْدِيلِهِ.

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) ﴾ [الأَنْبِيَاءُ: ١٨].

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ -: «هَذِهِ الأُمَّةُ - وَلِلَّهِ الحَمْدُ - لَمْ يَزَلْ فِيهَا مَنْ يَتَفَطَّنُ لِمَا فِي كَلامِ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنَ الْبَاطِلِ وَيَرُدُّهُ» (١).

---

(١) «الْفَتَاوَى» (٩ / ٢٣٣).

وَقَالَ قَتَادَةُ السّدوسيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-: «إنَّ الرَّجُلَ إِذَا ابْتَدَعَ بِدْعَةً يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُذْكَرَ؛ حَتَّىٰ تُحْذَرَ»[(١)].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَاشْتَدَّ نَكِيرُ السَّلَفِ وَالأَئِمَّةِ لِلْبِدْعَةِ، وَصَاحُوا بِأَهْلِهَا مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ، وَحَذَّرُوا وَبَالَغُوا فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُبَالِغُوا فِي إِنْكَارِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ؛ إِذْ مَضَرَّةُ الْبِدَعِ وَهَدْمُهَا لِلدِّينِ، وَمُنَافَاتُهَا لَهُ أَشَدُّ»[(٢)].

قُلْتُ : إِذَا رَأَيْتَ الْبِدْعَةَ قَدْ أُشْعِلَتْ نَارُهَا فَأَخْمِدْهَا، وَمَتَىٰ رَأَيْتَ صَاحِبَهَا يَأْبَىٰ إِلاَّ ضِرَامَهَا فَأَخْمِدْهُ مَعَهَا، وَاضْرِبْ مِنْهُ كُلَّ بَنَانٍ.

﴿ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأَنْفَالُ: ٥٧].



(١) «شَرْحُ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ» (٢٥٦) لِلإِمَامِ اللالَكَائِيِّ.

(٢) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (٣٢٧/١).

دَعَــانِي لِشَبِّ الحَــرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

فَــقُلْتُ لَهُ: لا لا، هَلُمَّ إلَىٰ السِّلْمِ

فَلَمَّـا أَبَىٰ أَلْقَـيْتَ فَـضْلَ عِنَانِهِ(١)

إلَيْــهِ، فَلَمْ يَرجِعْ بِحَــزْمٍ وَلا عَــزْمِ

فَكَانَ صَــرِيعَ الْـخَـــيْلِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ

فَبُعْدًا لَهُ يَخْتَارُ جَهْلاً عَلَىٰ عِلْمِ!



---

(١) العِنَانُ - بِزِنَةِ الْكِتَابِ -: سَيْرُ اللِّجَامِ الَّذِي تُمْسَكُ بِهِ الدَّابَّةُ، وَالْجَمْعُ أَعِنَّةٌ، وَعُنُنٌ نَادِرٌ.

الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ

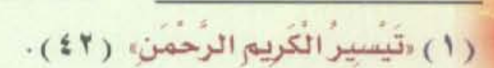
واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ ارْتِكَابَ الذُّنُوبِ يُسَوِّغُ[1] لَهُ تَرْكَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، والدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ ، وَيَسْتَدِلُّ لأَفْعَالِهِ بِقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ -: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الْبَقَرَة: ٤٤].

وَلَيْسَ فِي الآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ،قَالَ ابْنُ سَعْدِيٍّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «لَيْسَ فِي الآيَةِ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِمَا أُمِرَ بِهِ أَنَّهُ يَتْرُكُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ؛ لأَنَّهَا دَلَّتْ عَلَىٰ التَّوْبِيخِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْوَاجِبَيْنِ، وَإِلاَّ فَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ عَلَىٰ الإِنْسَانِ وَاجِبَيْنِ: أَمْرَهُ غَيْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَأَمْرَهُ نَفْسَهُ وَنَهْيَهَا، فَتَرْكُ أَحَدِهِمَا لا

---

(١) يُسَوِّغُ: يَجُوزُ.

يَكُونُ رُخْصَةً فِي تَرْكِ الآخَرِ، فَإِنَّ الْكَمَالَ أَنْ يَقُومَ الإِنْسَانُ بِالْوَاجِبَيْنِ، وَالنَّقْصَ الْكَامِلَ أَنْ يَتْرُكَهُمَا، وَأَمَّا قِيَامُهُ بِأَحَدِهِمَا دُونَ الآخَرِ فَلَيْسَ فِي رُتْبَةِ الأَوَّلِ، وَهُوَ دُونَ الأَخِيرِ، - وَأَيْضًا - فَإِنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ عَدَمِ الانْقِيَادِ لِمَنْ يُخَالِفُ قَوْلُهُ فِعْلَهُ، فَاقْتِدَاؤُهُمْ بِالأَفْعَالِ أَبْلَغُ مِنَ اقْتِدَائِهِمْ بِالأَقْوَالِ المُجَرَّدَةِ»[1].



(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» (٤٢).



مَحَبَّةُ اللهِ

واهِمٌ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَ اللهِ، وتَعَلَّقَ بِهِ حَتَّىٰ إذَا حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ حَائِلٌ أَصْبَحَ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ.

وَيْحَكَ!، الْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ - جَلَّ جَلالُهُ -، فَاحْذَرْ أنْ يَطَّلِعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ هَامَ بِحُبِّ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

«فَالْقَلْبُ لاَ يُفْلِحُ، وَلا يَصْلُحُ، وَلا يَتَنَعَّمُ، وَلا يَبْتَهِجُ، وَلا يَلْتَذُّ، وَلا يَطْمَئِنُّ، وَلا يَسْكُنُ إلاَّ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَحُبِّهِ، وَالإنَابَةِ إلَيْهِ، وَلَوْ حَصَلَ لَهُ جَمِيعُ مَا يَلْتَذُّ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لَمْ يَطْمَئِنَّ إلَيْهَا، وَلَمْ يَسْكُنْ إلَيْهَا، بَلْ لا تَزِيدُهُ إلاَّ فَاقَةً وَقَلَقًا، حَتَّىٰ

يَظْفَرَ بِمَا خُلِقَ لَهُ وَهُيِّئَ لَهُ مِنْ كَوْنِ اللهِ وَحْدَهُ نِهَايَةَ مُرَادِهِ وَغَايَةَ مَطَالِبِهِ؛ فَإِنَّ فِيهِ فَقْرًا ذَاتِيًّا إِلَىٰ رَبِّهِ وَإِلَهِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُ وَمَحْبُوبُهُ، وَإِلَهُهُ وَمَطْلُوبُهُ، كَمَا أَنَّ فِيهِ فَقْرًا ذَاتِيًّا إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ، وَرَازِقُهُ وَمُدَبِّرُهُ.

وَكُلَّمَا تَمَكَّنَتْ مَحَبَّةُ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ، وَقَوِيَتْ فِيهِ، أَخْرَجَتْ مِنْهُ تَأَلُّهَهُ لِمَا سِوَاهُ وَعُبُودِيَّتَهُ لَهُ.

فَأَصْبَحَ حُرًّا عِزَّةً وَصِيَانَةً
عَلَىٰ وَجْهِهِ أَنْوَارُهُ وَضِيَاؤُهُ»[1]

---

(١) «المَجْمُوعُ القَيِّمُ» لابْنِ القَيِّمِ (١ / ٢٤٧).



أَلا يعْلَمُ مَنْ خلَقَ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ السَّعَادَةَ الْحَقِيقِيَّةَ أَنْ يَعِيشَ كَمَا يُرِيدُ، لا كَمَا أَرَادَ لَهُ خَالِقُهُ، فَلَوْ سَلِمَ لَهُ عَقْلُهُ، لَعَلِمَ أَنَّ الحَيَوَانَ يُشَارِكُهُ فِي كُلِّ مَا تَوَهَّمَهُ.

فَالسَّعَادَةُ الحَقِيقِيَّةُ أَنْ يَسِيرَ المَرْءُ عَلَىٰ المَنْهَجِ الَّذِي رَسَمَهُ لَه خَالِقُهُ ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك : ٢٠].

فَصَانِعُ الطَّائِرَةِ جَعَلَ مَرْكَزَ الْقِيَادَةِ فِي الأَمَامِ، فَأَرَادَ هَذَا الأَنْوَكُ[1] أَنْ يَقُودَهَا الْقَهْقَرَى[2] مِنَ الجَنَاحِ، وَلا يَسْلَمُ لَه، بَلْ يَصْفَعُ مَنْ خَلْفَهُ.

---

(١) الأَنْوَكُ: الأَحْمَقُ، وَالْجَمْعُ نَوْكَىٰ وَنُوكٌ.

(٢) الْقَهْقَرَىٰ: الرُّجُوعُ إِلَىٰ خَلْفٍ.

فَإِنْ أَبَىٰ إلاَّ رُكُوبَ رَأْسِهِ، فَلْيَنْظُرْ حَتْفَهُ مِنْ تَحْتِه.

فَقِيَادَةُ النَّفْسِ إلَىٰ الْحَيَاةِ الْخَالِدَة، وَالسَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ لَيْسَتْ كَقِيَادَةِ الطَّائِرَةِ إلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ؛ إنَّهَا رِحْلَةٌ تَسْتَغْرِقُ الْعُمُرَ، حَتَّىٰ يَصِلَ إلَىٰ الْقَبْرِ، ثُمَّ حَيَاةٍ بَرْزَخِيَّةٍ إلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، ثُمَّ عُبُورِ صِرَاطٍ أَحَدَّ مِنَ السَّيْفِ،لا يَنْجُو مِنْهُ إلاَّ مَنْ سَلَكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي قَوْمٍ عَرَفُوا حَقَارَةَ هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَجَعَلُوهَا زَادًا للآخِرَةِ:

تَنَعَّمُ قَوْمٍ بِالْعِبَادَةِ وَالتُّقَىٰ
أَلَذُّ النَّعِيمِ لا اللَّذَاذَةُ فِي الخَمْرِ
فَقَرَّتْ بِهِمْ طُولَ الحَيَاةِ عُيُونُهُمْ
وَكَانَتْ لَهُمْ - وَاللهِ - زَادًا إلَىٰ الْقَبْرِ
عَلَىٰ بُرْهَةٍ نَالُوا بِهَا الْعِزَّ وَالتُّقَىٰ
أَلا وَلَذِيذُ الْعَيْشِ بِالْبِرِّ وَالصَّبْرِ



السَّعَادَةُ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي الثَّرَاءِ، أَوِ النُّفُوذِ وَالشُّهْرَةِ، أَوِ السُّكُونِ وَالْخُمُولِ، فَمَا ذَاكَ إلاَّ سَرَابٌ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الجَاهِلُ وَهَجَ السَّعَادَةِ، وَمَا هُوَ إلاَّ الشَّقَاوَةُ وَالضَّنْكُ.

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

فَالسَّعَادَةُ الْحَقَّةُ لا تَكُونُ إلاَّ فِي تَقْوَىٰ اللهِ ؛ فَالتَّقْوَىٰ هِيَ الَّتِي تَبْعَثُ فِي الْقَلْبِ الطُّمَأْنِينَةَ وَالرِّضَا.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾ [النَّمْلُ: ٩٧].

---

(١) الضَّنْكُ - بِالْفَتْحِ -: الضِّيقُ وَالشِّدَّةُ.



القَلَقُ

وَاهِمٌ مَنْ نَظَرَ إِلَىٰ جَسَدِهِ، وَسَعَىٰ فِي تَحْقِيقِ لَذَائِذِهِ، غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَىٰ رُوحِهِ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ الرَّاحَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَالانْشِرَاحِ وَالسَّعَةِ.

فَالإِنْسَانُ نِصْفُهُ رُوحٌ، وَنِصْفُهُ جَسَدٌ، فَمَنْ صَارَتْ غَايَتُهُ فِي جَسَدِهِ، يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْكَافِرَ مِنْ ضِيقٍ وَاكْتِئَابٍ، وَقَلَقٍ وَاضْطِرَابٍ.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤].

فَالْعِنَايَةُ بِالرُّوحِ وَالجَسَدِ كُلاً بِقَدَرِهِ يَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَيُنَفِّسُ الْكُرُبَاتِ، وَيُزِيلُ عَنِ الْبَدَنِ أَمْرَاضَهُ وَعِلَلَهُ.

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأَنْعَام: ١٢٥].



الْهَـمُّ

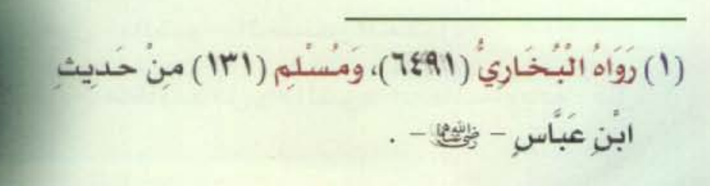
واهم مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَمَّ مُـجَـرَّدُ الْـخَـطْـرَةِ الَّتِـي تَـخْـطُـرُ بِالْقَلْبِ، ثُمَّ تَنْفَسِخُ مِنْ غَيْرِ عَزْمٍ وَلا تَصْمِيمٍ.

عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ..

وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ زِيَادَةٌ فِي آخِرِ الحَدِيثِ، وَهِيَ: «وَمَحَاهَا اللهُ، وَلا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلاَّ هَالِكٌ» [1].





(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٩١)، وَمُسْلِم (١٣١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - .

هَذَا الْحَدِيثُ عَظِيمٌ، يَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، وَعَظِيمِ جُودِهِ.

فَالْهَمُّ هُنَا: هُوَ الْعَزْمُ الْمُصَمَّمُ الَّذِي يُوجَدُ مَعَ الْحِرْصِ عَلَىٰ الْعَمَلِ [(١)]، وَهُوَ فَوْقَ مُجَرَّدِ خُطُورِ الشَّيْءِ بِالْقَلْبِ [(٢)].

فَلا يَقِفْ بِكَ هَمُّكَ عِنْدَ الْخَطْرَةِ، وَلا تَرْضَ بِالدُّونِ [(٣)]، وَلا تَقْعُدْ بِكَ هِمَّتُكَ عَنْ إِدْرَاكِ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ.

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ [(٤)]
فَلا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ
كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ

---

(١) انْظُرْ «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» (٢/٣١١).

(٢) انْظُرْ «الْفَتْحِ» (١١/٣٢٣).

(٣) الدُّونُ - بِالضَّمِّ -: الْخَسِيسُ الْحَقِيرُ.

(٤) مَرُومٌ: مَطْلُوبٌ، مِنْ رَامَ الشَّيْءَ: إِذَا طَلَبَهُ، وَبَابُهُ : قَالَ.



الْبَصَرُ صَاحِبُ خَبَرِ الْقَلْبِ

وَاهِمٌ مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ، لَكِنَّ قَلْبَهُ لا زَالَ يَصُولُ وَيَجُولُ، فَغَضُّ الْقَلْبِ سَبَبٌ لِلرَّاحَةِ مِنْ تَعَبِ التَّمَنِّي، وَوَهْمِ الأَمَانِيِّ.

وَإِطْرَاقُ[١] طَرْفِ[٢] الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ

وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ يَحُثَّ الْقَلْبُ رَسُولَهُ وَرَائِدَ شَهْوَتِهِ[٣] وَحَاجِبَهُ عَلَىٰ ارْتِيَادِ[٤] الشَّقَاءِ، فَيَنْفُذُ إِلَيْهِ نُفُوذَ الْهَوَاءِ، وَهَلْ صَلاحُ الجَوَارِحِ إلاَّ بِصَلاحِ الْقَلْبِ؟.

أَضِفْ لِنَقَاءِ الطَّرْفِ قَلْبًا مُهَذَّبًا
فَلا خَيْرَ فِي غَضٍّ إِذَا الْقَلْبُ مُطْرِقُ

---

(١) الإِطْرَاقُ: أَنْ يُرْخِيَ جَفْنَيْهِ وَيُقْبِلَ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ.
(٢) الطَّرْفَ - بِالْفَتْحِ - : الْبَصَرَ.
(٣) رَائِدُ شَهْوَتِهِ: أَيْ رَسُولُهَا الَّذِي يَتَقَدَّمُهَا.
(٤) الارْتِيَادُ: الطَّلَبُ.





الْقُدْوَةُ

وَاهِمٌ مَنْ سَارَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ بِغَيْرِ قُدْوَةٍ، فِي سَيْرِهِ إِلَىٰ اللهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ .

وَمَنْ سَارَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ طَرِيقَةٍ

فَقَدْ بَاتَ وَالأَوْهَامُ سُمٌّ يُدَاخِلُهُ

وَقُدْوَةُ المُسْلِمِ نَبِيُّهُ مُحَمَّدٌ -ﷺ-، فَالمُقْتَدِي بِهِ سَالِكُ الطَّرِيقِ المُوصِلِ إِلَىٰ كَرَامَةِ اللهِ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١) ﴾

[الأَحْزَاب: ٢١].



إذَا نَحْنُ أَدْلَجْنَا(١) وَأَنْتَ أَمَامَنَا

كَفَىٰ بِالمَطَايَا(٢) طِيبُ ذِكْرَاكَ حَادِيَا(٣)

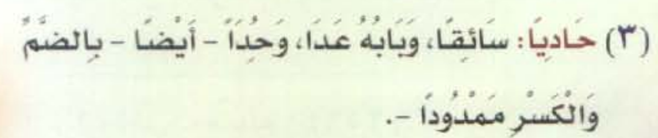
وَإنْ نَحْنُ أَضْلَلْنَا الطَّرِيقَ، وَلَمْ نَجِدْ

دَلِيلاً، كَفَانَا نُورُ وَجْهِكَ هَادِيَا

---

(١) الإِدْلاجُ: السَّيْرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ.

(٢) الْمَطَايَا: جَمْعُ مَطِيَّة، وَهِيَ الدَّابَّةُ مُطْلَقًا، سُمِّيَتْ مَطِيَّةً؛ لأَنَّهَا تَمْطُو فِي سَيْرِهَا (أَيْ: تُسْرِعُ)، أَوْ لأَنَّكَ تَرْكَبُ مَطَاهَا (أَيْ: ظَهْرَهَا)، وَتُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَىٰ مَطِيٍّ.



(٣) حَادِيًا: سَائِقًا، وَبَابُهُ عَدَا، وَحُدَاً - أَيْضًا - بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ مَمْدُودًا -.





المَرْءُ بِقَلْبِهِ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْـمَـرْءَ بِجَـسَـدِهِ وَمَنْظَرِهِ، فَـالْقَلْبُ هُوَ الأَصْلُ، وَهُوَ المَلِكُ لِسَائِرِ الأَعْضَاءِ، وَهُوَ مَحَلُّ نَظَرِ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - دُونَ سَائِرِ الجَوَارِحِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ، وَلا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ» [١].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْقَلْبُ لِهَذِهِ الأَعْضَاءِ كَالْـمَلِكِ المُتَصَرِّفِ فِي الجُنُودِ الَّتِي تَصْدُرُ كُلُّهَا عَنْ أَمْرِهِ، وَيَسْتَعْمِلُهَا فِيمَا شَاءَ،

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِم (٢٥٦٤).

فَكُلُّهَا تَحْتَ عُبُودِيَّتِهِ وَقَهْرِهِ، وَتَكْتَسِبُ مِنْهُ الاسْتِعَانَةَ وَالزَّيْغَ، وَتَتَّبِعُهُ فِيمَا يَعْقِدُهُ مِنَ الْعَزْمِ وَيَحُلُّهُ.

قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «أَلا إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً [(١)]، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ» [(٢)].

فَهُوَ مَلِكُهَا، وَهِيَ المُنَفِّذَةُ لِمَا يَأْمُرُهَا بِهِ القَابِلَةُ لِمَا يَأْتِيهَا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلا يَسْتَقِيمُ لَهَا شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهَا حَتَّى تَصْدُرَ عَنْ قَصْدِهِ، وَهُوَ المَسْئُولُ عَنْهَا كُلِّهَا؛ لأَنَّ كُلَّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، كَانَ الاهْتِمَامُ بِتَصْحِيحِهِ وَتَسْدِيدِهِ أَوْلَى مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ السَّالِكُونَ، وَالنَّظَرُ فِي أَمْرَاضِهِ وَعِلاجِهَا أَهَمَّ مَا تَنَسَّكَ [(٣)] بِهِ النَّاسِكُونَ» [(٤)].

---

(١) المُضْغَةُ - بِالضَّمِّ -: قِطْعَةُ لَحْمٍ بِقَدْرِ مَا يُمْضَغُ فِي الفَمِ، وَالجَمْعُ مُضَغٌ. وَالمُرَادُ: تَصْغِيرُ القَلْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَاقِي الجَسَدِ، مَعَ أَنَّ صَلاحَ الجَسَدِ وَفَسَادَهُ تَابِعَانِ لِلْقَلْبِ.

(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٢)، وَمُسْلِمٌ (١٥٩٩) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

(٣) التَّنَسُّكُ: العِبَادَةُ.

(٤) «إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ» (١/٥).



الْمُسَافِرُ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا إنَّمَا تُورَدُ لِتُعْمَرَ؛ فَالَّذِي دَلَّ عليْهِ الدَّلِيلُ، وبلَّغَهُ الْعِلْمُ أَنَّهَا تُورَدُ لِتُعْبَرَ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[1].

غَرِيبٌ؛ مُسَافِرٌ، مَاذَا يَصْنَعُ فِي الدُّنْيَا؟، يُقِيمُ لَحْظَةً، وَيَسْكُنُ لَمْحَةً، ثُمَّ يَرْحَلُ بِزَادٍ إِلَىٰ دَارِ الإِقَامَةِ، إِنْ خَيْرًا لَقِيَ خَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا لَقِيَ شَرًّا.

نَسِيرُ إِلَىٰ الآجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
وَأَعْمَارُنَا تُطْوَىٰ وَهُنَّ مَرَاحِلُ



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤١٦).



تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ وَهُنَّ قَلائِلُ

وَإِذَا أَرَدْتَ الْقُفُولَ (١) إِلَى أَهْلِكَ سَرِيعًا، فَخَفِّفِ الْفُضُولَ (٢)؛ فَإِنَّهُ مُؤْذٍ لِلأَبْدَانِ قَبْلَ الأَدْيَانِ، بَلْ سَبَبٌ لِطُولِ الْحِسَابِ، وَحَسْبُكَ مِنَ الزَّادِ مَا يُبَلِّغُكَ الْمُرَادَ.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
وَلاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَلاَّ تَكُونَ كَمِثْلِهِ
وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ (٣) كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

---

(١) الْقُفُولُ: الرُّجُوعُ، وَبَابُهُ: دَخَلَ، وَجَلَسَ.

(٢) الْفُضُولُ: جَمْعُ فَضْلٍ - بِالْفَتْحِ -، وَهُوَ مَا زَادَ عَنِ الْحَاجَةِ.

(٣) الإِرْصَادُ: الإِعْدَادُ.



سِيَاسَةُ النَّفْسِ

واهِمٌ مَنْ تَرَكَ سِيَاسَةَ نَفْسِهِ؛ مَعَ عِلْمِهِ بِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ مُهْمَلَةٍ، وَهَوَىً مُطَاعٌ وَشَهْوَةٌ غَالِبَةٌ، ثُمَّ يُمَنِّيهَا التَّرَقِّي فِي مَدَارِجِ الكَمَالِ دُونَ عَنَاءٍ ومُجَاهَدَةٍ، وَهَيْهَاتَ فَدُونَ التَّرَقِّي خَرْطُ القَتَادِ، وَيْحَكَ سِيَاسَةُ النَّفْسِ وَسِيلَةٌ إلى كُلِّ فَضِيلَةٍ.

وَمِنْ نَوَابِغِ الحِكَمِ: «مَنْ سَاسَ نَفْسَهُ، سَادَ نَاسَهُ».

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللهُ - :

وَمِنَ الْبَلَاءِ - وَلِلْبَلَاءِ عَلَامَةٌ -
أَلاَّ يُرَى لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعُ؟[1]
الْعَبْدُ عَبْدُ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا
وَالحُرُّ يَشْبَعُ تَارَةً وَيَجُوعُ

وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا الْمَرْءُ أَعْطَى نَفْسَهُ كُلَّ مَا اشْتَهَتْ
وَلَمْ يَنْهَهَا تَاقَتْ إِلَى كُلِّ بَاطِلِ
وَسَاقَتْ إِلَيْهِ الإِثْمَ وَالْعَارَ بِالَّذِي
دَعَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ حَلَاوَةِ عَاجِلِ

---

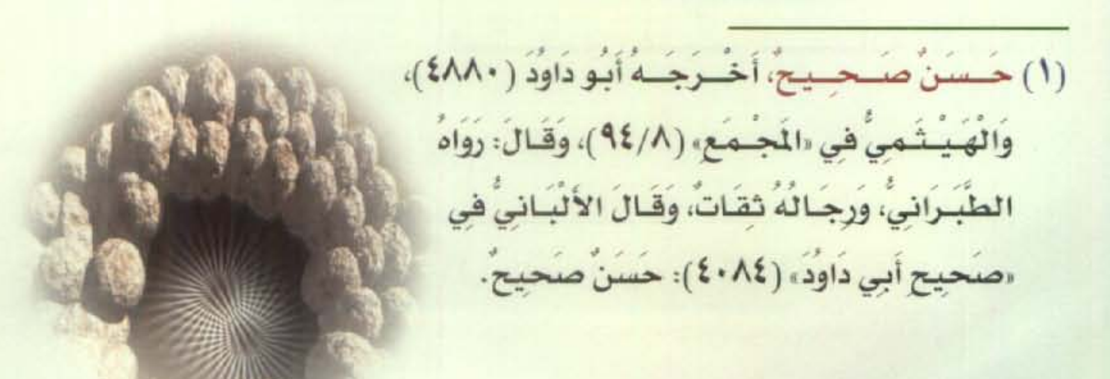
(١) نَزَعَ عَنِ الْهَوَى - مِنْ بَابِ جَلَسَ -: كَفَّ وَانْتَهَى.



شَمَاتَةُ الأَعْدَاءِ

وَاهِمٌ مَنْ يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، ثُمَّ يَشْمَتُ بِنَفْسِهِ، يَرْتَكِبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ، فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ، يُخَالِقُ النَّاسَ بِخُلُقٍ سَيِّئٍ فَيَغْدُو وَقُلُوبُ الصَّالِحِينَ تَمْقُتُهُ، يَتَتَبَّعُ عَوْرَاتِ أَخِيهِ، فَيَفْضَحُهُ اللهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ.

فَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[1].



(١) حَسَنٌ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٨٠)، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» (٨/٩٤)، وَقَالَ: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٤٠٨٤): حَسَنٌ صَحِيحٌ.

تِلْكَ الشَّمَاتَةُ فِي الدُّنْيَا، فَلا تَأْمَنْ أَنْ يَشْمَتَ اللهُ بِكَ عَلَىٰ رُؤُوسِ الخَلائِقِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ.

قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: عَجِبْتُ مِنْ ذِي عَقْلٍ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ، لا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ، ثُمَّ هُوَ يُشْمِتُ بِنَفْسِهِ كُلَّ عَدُوٍّ لَهُ!.

قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟.

قَالَ: يَعْصِي اللهَ، وَيُشْمِتُ بِهِ فِي الْقِيَامَةِ كُلَّ عَدُوٍّ[1].

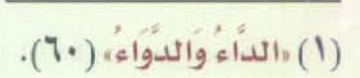
قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -:

وَلا تُرِ لِلأَعَادِيَ - قَطُّ - ذُلاً
فَإِنَّ شَمَاتَةَ الأَعْدَا بَلاءُ

وَقَالَ آخَرُ:

كُلُّ المَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَىٰ الْفَتَىٰ
فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ





(١) «الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ» (٦٠).



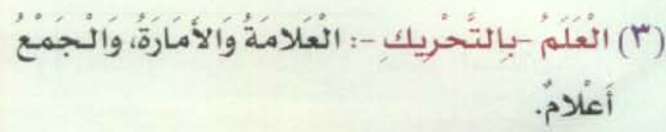
أَمارَةُ الْخِذْلانِ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أنَّ الْبُكَاءَ لا يَكُونُ إلاَّ لِضَعْفٍ، فَيَسْبَحُ فِي قَسْوَتِهِ كَالْحِجَارَةِ، وَإنَّ مِنْهَا لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأنْهَارُ.

وَيْحَكَ!، قَحْطُ الْعَيْنِ[(١)] ، وَعَدَمُ جُودِهَا بِالْبُكَاءِ أَمَارَةُ الْقَسْوَةِ، وَعَلامَةُ الْخِذْلانِ، وَدَلِيلٌ عَلَىٰ الرَّانِ[(٢)]، فَإنَّ النَّاسَ لَمَّا رَأَوْا كَثْرَةَ بُكَاءِ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، قَالُوا: لا تَبْكِ.

قَالَ: «وَمَا خَيْرٌ فِي عَيْنٍ لا تَبْكِي؟!».

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَمٌ[(٣)]، وَعَلَمُ الخِذْلانِ تَرْكُ الْبُكَاءِ».



(١) قَحْطُ الْعَيْنِ: احْتِبَاسُ دَمْعِهَا.

(٢) الرَّانُ: اسْوِدَادُ الْقَلْبِ مِنَ الذُّنُوبِ.

(٣) الْعَلَمُ -بِالتَّحْرِيكِ-: الْعَلامَةُ وَالأَمَارَةُ، وَالْجَمْعُ أَعْلامٌ.





قَالَ الشَّاعِرُ:

بَخِلَتْ عُيُونُكَ بِالْبُكَا، فَلْتَسْتَعِرْ

عَيْنًا لِغَيْرِكَ دَمْعُهَا مِدْرَارُ

مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا؟!

أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلدُّمُوعِ تُعَارُ؟!

وَقَالَ آخَرُ:

بَكَىٰ الْبَاكُونَ لِلرَّحْمَنِ لَيْلاً

وَبَاتُوا لَيْلَهُمْ لا يَسْأَمُونَا

بِقَاعُ الأَرْضِ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِمْ

تَحِنُّ، مَتَىٰ عَلَيْهَا يَسْجُدُونَا؟

وَقَالَ آخَرُ:

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاؤُهَا

وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

---

(١) مِدْرَارٌ - بِزِنَةِ مِفْرَاحٍ - : كَثِيرُ السَّيَلانِ.



الْهَوَىٰ

واهِمٌ مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ، فَقَادَهُ إِلَىٰ هَوَانِهِ؛ لأنَّهُ يُنْتِجُ مِنَ الأَخْلاقِ قَبَائِحَهَا، وَمِنَ الأَفْعَالِ فَضَائِحَهَا، وَيَجْعَلُ سِتْرَ المُرُوءَةِ مَهْتُوكًا، وَمَدْخَلَ الشَّرِّ مَسْلُوكًا.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَىٰ، قَادَكَ الْهَوَىٰ
إِلَىٰ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ

وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا مَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَقْتَادُهُ الْهَوَىٰ
فَقَدْ ثَكِلَتْهُ[١] عِنْدَ ذَاكَ ثَوَاكِلُهْ
وَقَدْ أَشْمَتَ الأَعْدَاءَ - جَهْلاً - بِنَفْسِهِ
وَقَدْ وَجَدَتْ فِيهِ مَقَالاً عَوَاذِلُهْ[٢]



(١) ثَكِلَتْهُ: فَقَدَتْهُ،وَبَابُهُ: فَرِحَ، وَثُكْلاً- أَيْضًا بِالضَّمِّ .

(٢) عَوَاذِلُهُ: لُوَّامُهُ، وَاحِدُهُمْ عَاذِلٌ.

وَمَا يَرْدَعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ[(١)] عَنِ الْهَوَىٰ

مِنَ النَّاسِ إلاَّ حَازِمُ الرَّأْيِ كَامِلُهْ

وَيْحَكَ! اعْصِ هوَاكَ، وَاسْتَعِنْ بِالْعَقْلِ؛ فَإِنَّه سَائِقٌ مُقْرِعٌ[(٢)] لِلنَّفْسِ النَّفُورِ، يُشْعِرُهَا مَا فِي عَوَاقِبِ الْهَوَىٰ، حَتَّىٰ تَنْقَادَ لَهُ، فَلا يَلْبَثُ أَنْ يَصِيرَ بِالْعَقْلِ مَطْرُودًا، وَبِالنَّفْسِ مَقْهُورًا، وَبِالْحَزْمِ تَصْلُحُ الأُمُورُ.

قَدْ يُدْرِكُ الحَازِمُ ذُو الرَّأْيِ الْمُنَىٰ

بِطَاعَةِ الْحَزْمِ، وَعِصْيَانِ الْهَوَىٰ



(١) اللَّجُوجُ: المُتَمَادِيَةُ فِي الْهَوَىٰ الآبِيَةُ الانْصِرَافَ عَنْهُ.

(٢) مُقْرِعٌ: كَافٌّ كَابِحٌ.



الذُّنُوبُ

واهِمٌ مَنْ تَمَادَىٰ فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي اتِّكَالاً عَلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ، وَلا شَكَّ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ لا مِنَ الْمُسِيئِينَ.

قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠) ﴾ [الحِجْرُ: ٤٩ - ٥٠].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ - مُبَيِّنًا حَالَ هَذَا الصِّنْفِ:

«وَهَذَا الضَّرْبُ[1] مِنَ النَّاسِ قَدْ تَعَلَّقَ بِنُصُوصِ الرَّجَاءِ، وَاتَّكَلَ عَلَيْهَا، وَتَعَلَّقَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ، وَإِذَا عُوتِبَ عَلَىٰ الخَطَايَا، وَالانْهِمَاكِ فِيهَا، سَرَدَ لَكَ مَا يَحْفَظُهُ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَنُصُوصِ الرَّجَاءِ.

---

(١) الضَّرْبُ - بِالْفَتْحِ -: الْمِثَالُ، وَالْجَمْعُ ضُرُوبٌ.

وَلِلْجُهَّالِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ غَرَائِبُ وَعَجَائِبُ» [١].

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَىٰ الذُّنُوبِ، وَتَرْتَجِي
دَرَجَ الجِنَانِ وَطِيبَ عَيْشِ الْعَابِدِ

وَنَسِيتَ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدَمَا
مِنْهَا إِلَىٰ الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ [٢]



(١) «الجَوَابُ الْكَافِي» (٦٧ - ٦٨).

(٢) «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٩/٢٩١).



تَأَهَّبْ لِلنُّقْلَةِ

وَاهِمٌ مَنْ نَسِيَ فَقْدَ الأَحْبَابِ، وأَنَّهُ صَائِرٌ إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْـهِ، يَرَىٰ الجَنَائِزَ فَـلا يُحَـرِّكُ سَاكِنًا ، تَدْبر عَنْهُ فَيَزْدَاد غَيًّا .

أَلا يَعْلَم أَنَّهُ فِي سَفَرٍ دَائِمٍ،يُوشِكُ أَنْ يَبْلُغَ،تَرَاهُ يُسَوِّفُ بِالتَّوْبَةِ، وَيَتَشَاغَلُ عَنْ رَدِّ الْوَدَائِعِ،وَلا يَدْرِي مَا اللهُ صَانِعٌ، فَرُبَّمَا أُصِيبَ بِحُمَّىٰ دَحْرَجَتْهُ إِلَىٰ حُفْرَةٍ مُظْلِمَةٍ، أَوْ خَرَجَ فِي سَفَرٍ، فَلَمْ يَعُدْ إِلاَّ عَلَىٰ الحَدْبَاءِ[1]، أَوْ نَامَ نَوْمَةً، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلاَّ تَحْتَ التُّرَابِ.

فَالْعَاقِلُ مَنِ اغْتَنَمَ اللَّيَالِيَ وَالأَيَّامَ فِي التَّأَهُّبِ لِلنُّقْلَةِ، والجَاهِلُ مَنْ تَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ الأَمَانِيَّ.

يُحَاوِلُ نَيْلَ المَجْدِ وَالسَّيْفُ مُغْمَدٌ[2]
وَيَأْمُلُ إِدْرَاكَ الْعُلا وَهُوَ نَائِمُ

---

(١) الْحَدْبَاءُ: النَّعْشُ.

(٢) مُغْمَدٌ: مُدْخَلٌ فِي غِمْدِهِ ، وَغِمْدُ السَّيْفِ -بِالْكَسْرِ-: جَفْنُهُ وَغِلافُهُ.



مَيْلُ النَّفْسِ إلَى الدُّنْيَا

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ جَوَاذِبَ النَّفْسِ إلَىٰ الجَنَّةِ أَقْوَىٰ لِمَا يَسْمَعُ مِنْ وَصْفِهَا فِي الْكِتَابِ والسُّنَّةِ، فَالجَنَّةُ إنَّمَا حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ كَمَا حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ؛ لِذَا تَجِدُ طَرِيقَ الجَنَّةِ رِفْعَةً إلَىٰ فَوْقٍ، فَيَحْتَاجُ إلَىٰ مُجَاهَدَةٍ وعَنَاءٍ، وَطَرِيقَ الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْجَارِي، يَطْلُبُ الْحُدُورَةَ؛ لأَنَّ لَذَائِذَهَا عَاجِلَةٌ، والنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ.

رُبَّ مَسْتُورٍ سَبَتْهُ[1] شَهْوَةٌ
فَتَعَرَّىٰ سِتْرُهُ فَانْهَتَكَا
صَاحِبُ الشَّهْوَةِ عَبْدٌ، فَإذَا
غَلَبَ الشَّهْوَةَ أَضْحَىٰ مَلِكَا



---

(١) سَبَتْهُ: أَخَذَتْهُ أَسِيراً، وَبَابُهُ: رَمَىٰ، وَسِبَاءً - أَيْضًا بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ -.



لا تَحزَنْ

واهمٌ مَنْ أضَاعَ عُمُرَهُ فِي الْحُزْنِ عَلَىٰ مَا فَاتَ، وَالْهَمِّ عَلَىٰ مَا هُوَ آتٍ.

فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَذْهَبَ عَنْكَ الْحُزْنُ، فَعِشْ مَعَ اللهِ، فَإِنَّهُ لا حُزْنَ مَعَ اللهِ أَبَداً.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - حِكَايَةً عَنْ نَبِيِّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ لِصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٠].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «فَدَلَّ أَنَّهُ لا حُزْنَ مَعَ اللهِ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ اللهُ مَعَهُ فَمَا لَهُ وَلِلْحُزْنِ؟!.

وَإِنَّمَا الْحُزْنُ كُلُّ الْحُزْنِ لِمَنْ فَاتَهُ اللهُ، فَمَنْ حَصَلَ اللهُ لَهُ فَعَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ يَحْزَنُ؟، وَمَنْ فَاتَهُ اللهُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَفْرَحُ؟.

قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [يُونُس: ٥٨].

فَالْفَرَحُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ تَبَعٌ لِلْفَرَحِ بِهِ - سُبْحَانَهُ -»[1].

إِلَيْكَ وَإِلاَّ لا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ[2]

وَمِنْكَ وَإِلاَّ فَالْمُؤَمَّلُ خَائِبُ[3]

وَفِيكَ وَإِلاَّ فَالْعَزْمُ مُضَيَّعُ

وَعَنْكَ وَإِلاَّ فَالْمُحَدِّثُ كَاذِبُ

---

(١) «طَرِيقُ الْهِجْرَتَيْنِ» (٢٨١).

(٢) الرَّكَائِبُ: جَمْعُ رِكَابٍ - بِزِنَةِ كِتَابٍ - ، وَهِيَ الإِبِلُ الَّتِي تَحْمِلُ الْقَوْمَ، وَتُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَىٰ رُكُبٍ، وَرِكَابَاتٍ، وَوَاحِدَةُ الرِّكَابِ رَاحِلَةٌ.

(٣) خَائِبٌ: مَحْرُومٌ لَمْ يَنَلْ مَا طَلَبَ.



دَوَاءُ الحُبِّ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الحُبَّ لَيسَ لَهُ دَوَاءٌ.

كَمَا قَالَ عُرْوَةُ بْنُ حِزَامٍ:

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ (١) الْيَمَامَةِ حِكْمَةً (٢)، وَعَرَّافِ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي

فَقَالاَ: نَعَمْ، يُشْفَىٰ مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ وَقَامَا مَعَ الْعُوَّادِ (٣) يَبْتَدِرَانِي (٤)

فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقْيَةٍ يَعْلَمَانِهَا وَلاَ سَلْوَةٍ (٥) إِلاَّ وَقَدْ سَقَيَانِي

---

(١) الْعَرَّافُ: الْكَاهِنُ.

(٢) الْحِكْمَةُ - بِالْكَسْرِ -: عِلْمُ الْمَرْءِ بِدَقَائِقِ صَنْعَتِهِ وَإِحْكَامِهِ لَهَا.

(٣) الْعُوَّادُ: الزُّوَّارُ، وَاحِدُهُمْ عَائِدٌ.

(٤) يَبْتَدِرَانِي: يُسَابِقُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ إِلَيَّ.

(٥) السَّلْوَةُ - بِالْفَتْحِ -: خَرَزَةٌ شَفَّافَةٌ تُدْفَنُ فِي الرَّمْلِ فَتَسْوَدُّ، فَتُسْحَقُ وَيُسْقَاهَا الْعَاشِقُ؛ لِيَسْلُوَ عَنْ حُبِّ الْمَرْأَةِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِحُبِّهَا وَيَنْسَاهَا، فَيَمُوتَ حُبُّهُ.

فَقَالاَ: شَفَاكَ اللهُ، وَاللهِ، مَا لَنَا
بِمَا ضُمِّنَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ

وَالْحَقُّ الَّذِي لا مِرْيَةَ فِيهِ أَنَّهُ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ الْحُبُّ.

فَالْحَلُّ فِي الْوَصْلِ الْحَلالِ، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ فَالْيَأْسُ وَالْمُبَاعَدَةُ، مَهْمَا وَجَدَ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[1].

وَمِنْ أَعْظَمِ الْعِلاجِ لِلْحُبِّ حُبُّ اللهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَعَلَّقَ بِاللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَأَخْلَصَ لَهُ الْحُبَّ وَالْوُدَّ - شَغَلَهُ حُبُّهُ عَنْ كُلِّ مَحْبُوبٍ، وَمَا أَحَبَّ قَلْبٌ غَيْرَ اللهِ إِلاَّ لِضَعْفِ مَحَبَّةِ اللهِ فِي قَلْبِهِ.

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٦٩)، وَمُسْلِمٌ (١٠٥٣).



قَالَتْ أُمُّ الضَّحَّاكِ الْمُحَارِبِيَّةُ:

سَأَلْتُ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا ... تَبَارِيحَ(١) هَذَا الْحُبِّ مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ(٢)

فَقُلْتُ لَهُمْ: مَا يُذْهِبُ الْحُبَّ بَعْدَمَا ... تَبَوَّأَ(٣) مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ(٤) وَالصَّدْرِ؟

فَقَالُوا: شِفَاءُ الْحُبِّ حُبٌّ يُزِيلُهُ ... لآخَرَ، أَوْ نَأْيٌ(٥) طَوِيلٌ عَلَى الْهَجْرِ

أَوِ الْيَأْسُ حَتَّى تَذْهَلَ النَّفْسُ(٦) بَعْدَمَا ... رَجَتْ طَمَعًا، وَالْيَأْسُ عَوْنٌ عَلَى الصَّبْرِ

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ - بَعْدَ أَنْ جَرَّبَ الْحُبَّ حَتَّى وَفَّقَهُ مَوْلاهُ وَشَغَلَهُ بِحُبِّهِ عَنْ كُلِّ مَحْبُوبٍ وَالْمُوَفَّقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ :

لَقَدْ كَانَ يَسْبِي الْقَلْبَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... ثَمَانُونَ بَلْ تِسْعُونَ نَفْسًا وَأَرْجَحُ

يَهِيمُ بِهَذَا ثُمَّ يَأْلَفُ غَيْرَهُ ... وَيَسْلُوهُمُ مِنْ فَوْرِهِ حِينَ يُصْبِحُ

وَقَدْ كَانَ قَلْبِي ضَائِعًا قَبْلَ حُبِّكُمْ ... وَكَانَ يُحِبُّ الْخَلْقَ يَلْهُو وَيَمْرَحُ

فَلَمَّا دَعَا قَلْبِي هَوَاكَ أَجَابَهُ ... فَلَسْتُ أَرَاهُ عَنْ خِبَائِكَ يَبْرَحُ

---

(١) تَبَارِيحُ الْحُبِّ: تَوَهُّجُهُ وَشَدَائِدُهُ. (٢) سَالِفُ الدَّهْرِ: مَاضِيهِ.

(٣) تَبَوَّأَ: حَلَّ وَنَزَلَ.

(٤) الْجَوَانِحُ: الضُّلُوعُ الَّتِي تَحْتَ التَّرَائِبِ مِمَّا يَلِي الصَّدْرَ، الْوَاحِدَةُ جَانِحَةٌ.

(٥) النَّأْيُ: الْبُعْدُ، وَبَابُهُ: سَعَى.

(٦) تَذْهَلُ النَّفْسُ: تَسْلُو وَتَطِيبُ عَنْ مَحْبُوبِهَا، وَبَابُهُ: قَطَعَ، وَذَهِلَ - أَيْضًا بِالْكَسْرِ - ذُهُولاً.





الْغِنَاءُ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أنَّ الْغِنَاءَ - صُورَتِهِ الْحَالِيَّةِ - وَسِيلَةٌ لِلتَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ، بَلْ هُوَ وَسِيلَةٌ لِوَأْدِ الْفَضِيلَةِ (١)، وَمَدْرَجٌ (٢) لِلرَّذِيلَةِ، وَطَرِيقٌ لِلانْحِلالِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «فَلَعَمْرُ اللهِ (٣)،كَمْ مِنْ حُرَّةٍ صَارَتْ بِهِ مِنَ الْبَغَايَا (٤)،وَكَمْ مِنْ حُرٍّ أَصْبَحَ بِهِ عَبْدًا لِلصِّبْيَانِ وَالصَّبَايَا، وَكَمْ مِنْ غَيُورٍ تَبَدَّلَ بِهِ اسْمًا قَبِيحًا بَيْنَ الْبَرَايَا (٥)،

---

(١) لِوَأْدِ الْفَضِيلَةِ: أيْ لِدَفْنِهَا حَيَّةً، وَبَابُهُ: وَعَدَ.

(٢) الْمَدْرَجُ: الْمَسْلَكُ، وَالْجَمْعُ الْمَدَارِجُ.

(٣) فَلَعَمْرُ اللهِ - بِفَتْحِ الْعَيْنِ لا غَيْرُ -: أُسْلُوبُ قَسَمٍ، أيْ: وَبَقَاءِ اللهِ وَدَوَامِهِ.

(٤) الْبَغَايَا: جَمْعُ بَغِيٍّ، وَهِيَ الْفَاجِرَةُ.

(٥) الْبَرَايَا: جَمْعُ بَرِيَّةٍ، وَهِيَ الْخَلْقُ.

وَكَمْ مِنْ ذِي غِنًى وَثَرْوَةٍ أَصْبَحَ بِسَبَبِهِ عَلَىٰ الأَرْضِ بَعْدَ الْمَطَارِفِ[(١)] وَالْحَشَايَا[(٢)]، وَكَمْ أَهْدَىٰ لِلْمَشْغُوفِ بِهِ أَشْجَانًا[(٣)] وَأَحْزَانًا، وَكَمْ جَرَّ مِنْ غُصَّةٍ، وَأَزَالَ مِنْ نِعْمَةٍ، وَجَلَبَ مِنْ نِقْمَةٍ، وَكَمْ خَبَّأَ لأَهْلِهِ مِنْ آلامٍ مُنْتَظَرَةٍ، وَغُمُومٍ مُتَوَقَّعَةٍ، وَهُمُومٍ مُسْتَقْبَلَةٍ!!».

قُلْتُ: رَحِمَ اللهُ ابْنَ الْقَيِّمِ، كَيْفَ لَوْ رَأَىٰ تَطَوُّرَ الأَلْحَانِ فِي زَمَانِنَا، وَظُهُورَ آلاتٍ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً مِنْ قَبْلُ، وَثَالِثَةُ الأَثَافِيِّ[(٤)] غَزْوُهَا لِكُلِّ بَيْتٍ!.

---

(١) الْمَطَارِفُ: جَمْعُ مُطْرَفٍ - بِتَثْلِيثِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الرَّاءِ -، وَهُوَ رِدَاءٌ مِنْ خَزٍّ مُرَبَّعٌ ذُو أَعْلامٍ.

(٢) الْحَشَايَا: جَمْعُ حَشِيَّةٍ، وَهِيَ الْفِرَاشُ الْمَحْشُوُّ.

(٣) الأَشْجَانُ: جَمْعُ شَجَنٍ - بِالتَّحْرِيكِ -، وَهُوَ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ، وَيُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَىٰ شُجُونٍ.

(٤) الأَثَافِيَ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ -: ثَلاثَةُ أَحْجَارٍ مِثْلَ رَأْسِ الإِنْسَانِ تُوضَعُ عَلَيْهَا الْقِدْرُ، وَاحِدَتُهَا أُثْفِيَّةٌ - بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ -، وَثَالِثَةُ الأَثَافِيِّ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَبَلِ يُجْعَلُ إِلَىٰ جَانِبِهَا اثْنَتَانِ، كَانُوا إِذَا لَمْ يَجِدُوا ثَالِثَةَ الأَثَافِيِّ أَسْنَدُوا الْقِدْرَ إِلَىٰ الْجَبَلِ، وَالْمُرَادُ بِثَالِثَةِ الأَثَافِيِّ هُنَا: الدَّاهِيَةُ وَالشَّرُّ كُلُّهُ.



قَالَ خَبِيرٌ بِهِ مِنْ أَهْلِهِ:

أَتَذْكُرُ لَيْلَةً وَقَدِ اجْتَمَعْنَا

عَلَىٰ طِيبِ السَّمَاعِ إِلَىٰ الصَّبَاحِ

وَدَارَتْ بَيْنَنَا كَأْسُ الأَغَانِي

فَأَسْكَرَتِ النُّفُوسَ بِغَيْرِ رَاحِ (١)

فَلَمْ تَرَ فِيهِمْ إِلاَّ نَشَاوَىٰ (٢)

سُرُوراً، وَالسُّرُورُ هُنَاكَ صَاحِي

إِذَا نَادَىٰ أَخُو اللَّذَّاتِ فِيهِ

أَجَابَ اللَّهْوُ: حَيَّ (٣) عَلَىٰ السَّمَاحِ

وَلَمْ نَمْلِكْ سِوَىٰ الْمُهْجَاتِ (٤) شَيْئاً

أَرَقْنَاهَا لأَلْحَاظِ (٥) الْمِلاحِ (٦)

---

(١) الرَّاحُ: الخَمْرُ.

(٢) نَشَاوَىٰ: سَكَارَىٰ، وَاحِدُهُمْ نَشْوَانُ.

(٣) حَيَّ -بِفَتْحِ الْيَاءِ-: اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ بِمَعْنَىٰ: هَلُمَّ وَأَقْبِلْ.

(٤) الْمُهُجَاتُ: جَمْعُ مُهْجَةٍ -بِالضَّمِّ- وَهِيَ دَمُ الْقَلْبِ.

(٥) أَلْحَاظُ: جَمْعُ لَحْظٍ، وَهُوَ النَّظَرُ بِشِقِّ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الصُّدْغَ.

(٦) الْمِلاحُ: جَمْعُ مَلِيحَةٍ، وَهِيَ الْحَسْنَاءُ، وَقَدْ مَلُحَتْ مِنْ بَابِ: ظَرُفَ وَسَهُلَ.



الزُّهْدُ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أنَّ الزُّهْدَ فِي أكْلِ الْغَلِيظِ مِنَ الطَّعَامِ، وَلُبْسِ الدُّونِ مِنَ الثِّيَابِ، وَتَرْكِ السَّكَنِ الْوَاسِعِ، إلَىٰ غَيْرِهِ.

فَالزُّهْدُ كَمَا عَرَّفَهُ شَيْخُ الإسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ -: «تَرْكُ مَا لا يَنْفَعُ فِي الآخِرَةِ، وَالْوَرَعُ: تَرْكُ مَا يُخَافُ ضَرَارُهُ فِي الآخِرَةِ» [١].

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ذَهَبُوا فِي فَهْمِ الزُّهْدِ طَرَائِقَ قِدَدًا [٢]، فَلا يُعْرَفُ حَقِيقَةَ الزُّهْدِ إلاَّ حَكِيمٌ.

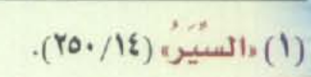
قَالَ يُوسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ: «بِالأَدَبِ تَتَفَهَّمُ

---

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (٢/١٠).

(٢) قِدَادًا: أيْ مُتَفَرِّقَةً، وَالْقِدَدُ جَمْعُ قِدَّةٍ - بِالْكَسْرِ -، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ.

الْعِلْمَ، وَبِالْعِلْمِ يَصِحُّ لَكَ الْعَمَلَ، وَبِالْعَمَلِ تَنَالُ الْحِكْمَةَ،وَبِالْحِكْمَةِ تَفْهَمُ الزُّهْدَ، وَبِالزُّهْدِ تَتْرُكُ الدُّنْيَا، وتَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ، وَبِذَلِكَ تَنَالُ رِضَاءَ اللهِ - تَعَالَىٰ -»[١].



(١) «السِّيَر» (١٤/٢٥٠).



طَلَبُ الرِّزْقِ

وَاهِمٌ مَنِ اتَّكَلَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ عَلَىٰ الأَمَانِي، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ السَّمَاءَ لا تُمْطِرُ فِضَّةً وَلا ذَهَبًا، وَأَنَّ الطَّيْرَ لا يَصِلُهَا رِزْقُهَا إِلَىٰ عِشَاشِهَا، بَلْ تَغْدُو(١) خِمَاصًا(٢)، وَتَرُوحُ(٣) بِطَانًا(٤).

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ:

وَمَا طَلَبُ المَعِيشَةِ بِالتَّمَنِّي
وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الدِّلاءِ(٥)

---

(١) تَغْدُو: تَذْهَبُ غُدْوَةً (أَيْ: أَوَّلَ النَّهَارِ)، وَبَابُهُ: سَمَا.

(٢) خِمَاصًا أَيْ: جِيَاعًا، وَهُوَ خُمْصَانٌ، وَهِيَ خُمْصَانَةٌ - بِفَتْحِهِمَا وَضَمِّهِمَا -.

(٣) تَرُوحُ: تَرْجِعُ رَوَاحًا (أَيْ: عِشَاءً).

(٤) بِطَانًا أَيْ: عَظِيمَةَ البُطُونِ مُمْتَلِئَةَ الأَجْوَافِ، وَهُوَ بَطِينٌ، وَهِيَ بَطِينَةٌ.

(٥) الدِّلاءُ: جَمْعُ دَلْوٍ - بِالْفَتْحِ -، وَهِيَ الَّتِي يُسْتَقَىٰ بِهَا.



تَجِيءُ بِمِثْلِهَا طَوْرًا(١)، وَطَوْرًا
تَجِيءُ بِحَمْأَةٍ(٢) وَقَلِيلِ مَاءِ

وَلا تَقْعُدْ عَلَىٰ كَسَلِ التَّمَنِّي
تُحِيلُ عَلَىٰ الْمُقَدَّرِ وَالْقَضَاءِ

فَإِنَّ مَقَادِرَ الرَّحْمَنِ تَجْرِي
بِأَرْزَاقِ الرِّجَالِ مِنَ السَّمَاءِ

مُقَدَّرَةً بِقَبْضٍ أَوْ بِبَسْطٍ(٣)
وَعَجْزُ الْمَرْءِ أَسْبَابُ الْبَلاءِ

---

(١) الطَّوْرُ - بِالْفَتْحِ -: التَّارَةُ، وَالْجَمْعُ أَطْوَارٌ.

(٢) الْحَمْأَةُ - بِالْفَتْحِ -: الطِّينُ الأَسْوَدُ الْمُنْتِنُ.

(٣) بِقَبْضٍ أَوْ بِبَسْطٍ، أَيْ: بِتَضْيِيقِ الرِّزْقِ أَوْ بِتَوْسِيعِهِ.



حُسْنُ الطَّلَبِ

واهِمٌ واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أنَّ طَلَبَ الرزْقِ يَكُونُ بِغَيْرِ الإجْمَالِ فِي الطَّلَبِ.

وَيْحَكَ!، أَجْمِلْ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَاطْلُبْهُ مِنْ حِلِّه، وَعَلَىٰ وَجْهِه، وَإيَّاكَ وَالتِّجَارَةَ فِي الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ(١)، وَاعْلَمْ أنَّهُ لَنْ يَأْتِيكَ مِنْ رِزْقِكَ إلاَّ الْمَقْدُورُ عَلَيْكَ مَهْمَا تَعَنَّيْتَ(٢).

قَالَ الإمَامُ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -:

وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّأَنِّي

وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ

وَالنَّبِيُّ - ﷺ - يَقُولُ: «اتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ؛ فَإنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإنْ

---

(١) الْمُشْتَبِهَاتُ: الَّتِي لَيْسَتْ بِوَاضِحَةِ الْحِلِّ وَلا الْحُرْمَةِ.

(٢) تَعَنَّيْتَ: نَصِبْتَ وَتَعِبْتَ.

أَبْطَأَ عَنْهَا؛ فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ: خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»[(١)].

قَالَ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَرَاحَةُ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَتَرْكُ الاهْتِمَامِ وَالْحِرْصِ الشَّدِيدِ، وَالتَّعَبِ وَالْعِنَادِ، وَالْكَدِّ وَالشَّقَاءِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا - إِنَّمَا يُنَالُ بِالإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ.

فَمَنِ اتَّقَى اللهَ فَازَ بِلَذَّةِ الآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا، وَمَنْ أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ اسْتَرَاحَ مِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا وَهُمُومِهَا»[(٢)].

وَمِنْ جَمِيلِ مَا قِيلَ فِي الإِجْمَالِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ قَوْلُ المرقشِ الأصْغَرِ:

أَجْمِلُ الْعَيْشِ أَنَّ رِزْقَكَ آتٍ   لا يَرُدُّ التَّرْقِيحُ شَرْوَى فَتِيلِ

وَقَالَ أبو الشيص:

لِكُلِّ امْرِئٍ لِلرِّزْقِ جَالِبٌ   وَلَيْسَ يَفُوتُ المَرءَ مَا خَطَّ كَاتِبُهُ

يُسَاقُ إِلَى ذَا رِزْقُهُ وَهُوَ وَادِعٌ   وَيُحْرَمُ هَذَا الرِّزْقَ وَهُوَ يُطَالِبُهُ

---

(١) صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (٢١٤٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ (٢٦٥/٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٦٠٧)، وَ«المِشْكَاةِ» (٥٣٠٠).

(٢) «الْفَوَائِدُ» (٨٦).

أَطِبْ مَطْعَمَكَ تُسْتَجَبْ دَعْوَتَكَ

وَاهِمٌ مَنْ يَدْعُو رَبَّهُ وَهُوَ آكِلٌ مِنَ الْحَرَامِ: كَأَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا، وَأَكْلِ الرِّبَا، أَوِ الأَكْلِ مِنْ كَسْبٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ، فَيَدْعُو رَبَّهُ فَأَنَّى (١) يُسْتَجَابُ لِمِثْلِهِ؟!.

يَقُولُ النَّبِيُّ - ﷺ -: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ، لا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ (٢)، أَشْعَثَ (٣) أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!» (٤).

---

(١) أَنَّىٰ: بِمَعْنَىٰ مِنْ أَيْنَ وَكَيْفَ.

(٢) يُطِيلُ السَّفَرَ: أَيْ فِي وُجُوهِ الطَّاعَاتِ: كَحَجٍّ، وَزِيَارَةٍ مُسْتَحَبَّةٍ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٣) أَشْعَثَ: أَيْ مُغْبَرَّ الرَّأْسِ لِبُعْدِ عَهْدِهِ بِالْغُسْلِ، وَالْجَمْعُ شُعْثٌ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٍ (١٠١٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - .

أُشَبِّهُ مَنْ يَتُوبُ عَلَىٰ حَرَامٍ
كَبَيْضٍ فَاسِدٍ تَحْتَ الْحَمَامِ

يَطُولُ عَنَاؤُهُ فِي غَيْرِ شُغْلٍ
وَآخِرُهُ يَقُومُ بِلا تَمَامِ

إذَا كَانَ الْمُقَامُ(١) عَلَىٰ حَرَامٍ
فَلا مَعْنَىٰ لِتَطْوِيلِ الْقِيَامِ

---

(١) الْمُقَامُ - بِالضَّمِّ -: الإِقَامَةُ.



الْحَجُّ الْمَبْرُورُ

وَاهِمٌ مَنْ حَجَّ بِمَالٍ كُلُّهُ حَرَامٌ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مُدْرِكٌ ثَوَابَ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ.

فَهُوَ وَإِنْ كَانَ حَجُّهُ صَحِيحًا فِي قَوْلِ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَكِنَّ الْحَجَّ الْمَبْرُورَ ثَوَابُهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ»[1].

وَالْمَبْرُورُ: هُوَ الْمَقْبُولُ الَّذِي لا يَرْتَكِبُ صَاحِبُهُ فِيهِ مَعْصِيَةً، فَيَحُجُّ كَمَا شَرَعَ اللهُ، وَكَمَا حَجَّ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -، وَأَنْ تَكُونَ النَّفَقَةُ طَيِّبَةً.



---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٧٧٣)، وَمُسْلِم (١٣٤٩).

إذَا حَـجَـجْتَ بِمَـالٍ أَصْلُهُ سُـحْتٌ[١]

فَمَا حَـجَجْتَ، وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعِيرُ[٢]

مَـــا يَقْـــبَلُ اللهُ إلاَّ كُلَّ طَيِّـــبَـــةٍ،

مَـــا كُلُّ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ مَـــبْـــرُورُ

---

(١) السُّحْتُ - بِالضَّمِّ وَبِضَمَّتَيْنِ -: الحَرَامُ، وَالْجَمْعُ أَسْحَاتٌ.

(٢) الْعِيرُ - بِالْكَسْرِ -: الدَّوَابُّ بِأَحْمَالِهَا، إبِلاً كَانَتْ أَوْ حَـمِـيرًا أَوْ بِغَـالاً، لا وَاحِـدَ لَهَـا مِنْ لَفْظِهَـا، وَالْجَمْعُ عِيرَاتٌ - بِزِنَةِ عِنَبَاتٍ وَيُسَكَّنُ -.



الْقَلْبُ

وَاهِمٌ مَنِ اكْتَفَىٰ بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ عَنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ، فَلا يُعْطِي الْقَلْبَ حَقَّهُ مِنَ التَّزْكِيَةِ وَالْمُتَابَعَةِ، وَالْعِبَادَاتِ وَالْمَعْرِفَةِ.

فَالْقَلْبُ مَحَلُّ قَبُولِ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَمَحَلُّ الابْتِلاءِ وَالتَّمْحِيصِ، وَمَحَلُّ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ، وَسَائِرُ الأَعْضَاءِ خَدَمُهُ وَجُنُودُهُ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»[(١)].

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢)، وَمُسْلِمٌ (١٥٩٩).



زَخْرَفَةُ الْمَسَاجِدِ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ زَخْرَفَةَ الْمَسَاجِدِ، وَتَزْوِيقَهَا، وَتَشْيِيدَهَا، وَالتَّكَلُّفَ الْكَبِيرَ فِي بِنَائِهَا - هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأَعْرَافُ: ٣١].

فَهَذَا الْفَهْمُ لا يَصِحُّ مِنَ الآيَةِ، وَلا يُعْرَفُ عَنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ وَدِلالاتِهِ، فَالأَمْرُ بِالزِّينَةِ فِي الآيَةِ الْمُرَادُ بِهِ - كَمَا جَاءَ عَنِ السَّلَفِ - هُوَ: سَتْرُ الْعَوْرَاتِ عِنْدَ الْمَسَاجِدِ، وَالطَّهَارَةُ لِلصَّلاةِ الطَّهَارَةَ الشَّرْعِيَّةَ؛ لأَنَّ بَعْضَ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً حَتَّىٰ النِّسَاءُ، إِذْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ عُرْيَانَةً وَتُنْشِدُ:

الْيَـــومَ يَبْـــدُو بَعْـــضُـــهُ أَوْ كُلُّهُ

وَمَـــا بَـدَا مِنْـهُ فَـــلا أُحِلُّهُ

فَنَهَانَا اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ زَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ، فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ»[(١)].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى»[(٢)].

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» - أَيْضًا - مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»[(٣)].

---

(١) التَّشْيِيدُ: هُوَ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ بِالْجِصِّ، وَزَخْرَفَتُهُ، وَالتَّطْوِيلُ فِي ذَلِكَ.

(٢) صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٤٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٤٣١).

(٣) صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٤٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٤٣٢).



النَّقَّارُونَ

واهِمٌ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ عُكَّازًا لِنَقْرِ صَلاتِهِ، وَلِيَرُدَّ بِهِ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ الَّذِينَ يُصَلُّونَ بِالنَّاسِ صَلاةَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -.

وَيَا لَيْتَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُعَاذًا قَرَأَ بِالنَّاسِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: أَنَّهُ اسْتَفْتَحَ بِهِمْ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَانْفَرَدَ بَعْضُ الْقَوْمِ وَصَلَّىٰ وَحْدَهُ، فَقِيلَ: نَافَقَ فُلانٌ!.

فَقَالَ: وَاللهِ، مَا نَافَقْتُ، وَلآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - حِينَئِذٍ: «أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟! هَلاَّ صَلَّيْتَ بِـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، وَ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾» [1].

---

(١) أخرجه البُخَارِيُّ (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥).

وَيْحَكَ!، مَاذَا يَعِزُّ عَلَيْكَ مِنْ دِينِكَ إِذَا هَانَتْ عَلَيْكَ صَلاتُكَ؟!، فَلَو عَمِلْتَ يَوْمَكَ عَمَلاً، خَرَجْتَ مِنْهُ خَاسِراً، أَلاَ يُحْزِنُكَ ذَلِكَ؟، أَلَيْسَ وُقُوفُكَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ وَخَالِقِكَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ[1]؟، فَلا تَجْعَلْهَا كَنَقْرِ الطُّيُور.

يُصَلِّي فَيُرْسِلُهَا كَالطُّيُورِ
إِذَا أُرْسِلَتْ[2] مِنْ حِصَارِ الْقَفَصْ
يَقُومُ وَيَقْعُدُ مُسْتَعْجِلاً
كَمِثْلِ الطَّرُوبِ[3] إِذَا مَا رَقَصْ

---

(١) الْبَوْرُ: الْهَلاكُ وَالْكَسَادُ، وبَابُهُ قَالَ.

(٢) أُرْسِلَتْ: أُطْلِقَتْ.

(٣) الطَّرُوبُ: الْكَثِيرُ الطَّرَبِ، وَهُوَ خِفَّةٌ تَعْتَرِي الإِنْسَانَ عِنْدَ شِدَّةِ الْفَرَحِ، وَبَابُهُ : فَرِحَ.



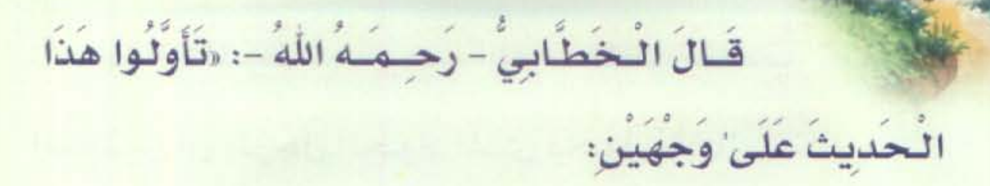
النَّاسُ كَالإبلِ المِائَةَ

واهِمٌ مَنْ رَأَىٰ أَحَدَ النَّاسِ ذَا فَضْلٍ وَقُدْرَةٍ عَلَىٰ التَّحَمُّلِ، ثُمَّ يُقَارِنُ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ، بَلْ وَيَنْتَظِرُ مِنْهُمْ أَنْ يَصِلُوا إِلَىٰ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ، وَكَثِيراً مَا يَحْصُلُ مِنْ بَعْضِ الآبَاءِ مَعَ أَبْنَائِهِ، وَبَعْضِ الْمُعَلِّمِينَ مَعَ طُلاَّبِهِ؛ فَالنَّاسُ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْقُدْرَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالذِّهْنِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، كَمَا يَتَفَاوَتُونَ فِي قُدْرَتِهِمْ عَلَىٰ تَحَمُّلِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَالثَّبَاتِ فِي وَجْهِ الْمَخَاطِرِ، وَالأَعَاصِيرِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً»[1].

---

(١) رواهُ البُخَارِيُّ (٦٤٩٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٤٧).



قَالَ الْخَطَّابِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «تَأَوَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا - أَنَّ النَّاسَ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ سَوَاءٌ، لا فَضْلَ فِيهَا لِشَرِيفٍ عَلَىٰ مَشْرُوفٍ، وَلا لِرَفِيعٍ عَلَىٰ وَضِيعٍ: كَالإِبِلِ المِائَةِ الَّتِي لا يَكُونُ فِيهَا رَاحِلَةٌ، وَهِيَ: الَّتِي تُرْحَلُ[1] لِتُرْكَبَ، وَالرَّاحِلَةُ فَاعِلَةٌ بِمَعْنَىٰ مَفْعُولَةٍ، أَيْ: كُلُّهَا حَمُولَةٌ تَصْلُحُ لِلْحَمْلِ، وَلا تَصْلُحُ لِلرَّحْلِ وَالرُّكُوبِ عَلَيْهَا.

وَالثَّانِي - أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أَهْلُ نَقْصٍ، وَأَمَّا أَهْلُ الْفَضْلِ فَعَدَدُهُمْ قَلِيلٌ جِداً، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الرَّاحِلَةِ فِي الإِبِلِ الْحَمُولَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (١٨٧) ﴾ [الأَعْرَاف: ١٨٧]»[2].

وَرَجَّحَ الثَّانِي الأَزْهَرِيُّ، وَالنَّوَوِيُّ، وَالْقُرْطُبِيُّ.

---

(١) رَحَلَ الْبَعِيرُ - مِنْ بَابِ مَنَعَ -: حَطَّ عَلَيْهِ الرَّحْلَ (أَيِ: المَرْكَبَ).

(٢) «فَتْحُ الْبَارِي» لابْنِ حَجَرٍ (١١/٣٣٥).

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «الَّذِي يُنَاسِبُ التَّمْثِيلَ أَنَّ الرَّجُلَ الجَوَادَ الَّذِي يَحمِلُ أَثْقَالَ النَّاسِ، وَالْحَمَالاتِ[1] عَنْهُمْ، وَيَكْشِفُ كُرَبَهُمْ - عَزِيزُ الْوُجُودِ[2] كالرَّاحِلَةِ مِنَ الإبلِ الْكَثِيرَةِ»[3].

عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ[4]

وَتَأْتِي عَلَىٰ قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وَتَكْبُرُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا

وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

---

(١) الحَمَالاتُ: جَمْعُ حَمَالَةٍ - بِالْفَتْحِ -، وَهِيَ الدِّيَةُ وَالْغَرَامَةُ يَحْمِلُهَا قَوْمٌ عَنْ قَوْمٍ.

(٢) يُقَالُ: عَزَّ الشَّيْءُ يَعِزُّ عِزًا - بِكَسْرِ الْعَيْنِ فِيهِمَا - وَعَزَازَةً - بِالْفَتْحِ - فَهُوَ عَزِيزٌ: إِذَا قَلَّ حَتَّىٰ مَا يَكَادُ يُوجَدُ.

(٣) «فَتْحُ الْبَارِي» (١١/٣٣٥).

(٤) الْعَزَائِمُ: جَمْعُ عَزِيمَةٍ، وَهِيَ الإِرَادَةُ.



المُؤمنُ مُفَتَّنٌ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ سَوفَ يَعِيشُ فِي رِحَابِ اللهِ دُونَ ابْتِلاءٍ يُطَهِّرُهُ، وَفِتَنٍ تَزِيدُهُ إيمَانًا، ومِحَنٍ تُقَوِّي يَقِينَهُ.

وَهَلْ خُلِقَ الـمُؤْمِنُ إلاَّ مُفَتَّنًا تَوَّابًا نَسَّاءً[1]؟، صِفَاتٌ تُلازِمُهُ وَلا تُفَارِقُهُ، تُصِيبُهُ وَلا تُحْجَبُ عَنْهُ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) ﴾ [العَنْكَبُوت: ٢].

وَأَخْـرَجَ الطَّبَـرَانِيُّ بِسَنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّـاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «إنَّ الـمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفَتَّنًا تَوَّابًا نَسَّاءً، إذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ»[2].

---

(١) النَّسَّاءُ: الْكَثِيرُ النِّسْيَانِ، أَصْلُهَا: النَّسَّاي، فَقُلِبَت الْيَاءُ هَمْزَةً؛ لِتَطَرُّفِهَا بَعْدَ أَلِفٍ زَائِدَةٍ.

(٢) صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِير» (١٣٦ / ٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَة» (٢٢٧٦).

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ[1] مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّئُهَا[2] الرِّيحُ مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا[3] مَرَّةً، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالأَرْزَةِ[4]، لا تَزَالُ حَتَّىٰ يَكُونَ انْجِعَافُهَا[5] مَرَّةً وَاحِدَةً»[6].

قَالَ الشَّاعِرُ:

لا تَكْرَهِ الْمَكْرُوهَ عِنْدَ نُزُولِهِ
إِنَّ الْحَوَادِثَ لَمْ تَزَلْ مُتَبَايِنَهْ[7]
كَمْ نِعْمَةٍ لا يُسْتَهَانُ بِشُكْرِهَا
لله فِي طِيِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَهْ[8]

---

(١) الْخَامَةُ: الطَّاقَةُ الطَّرِيَّةُ الْغَضَّةُ الرَّطْبَةُ.

(٢) تُفَيِّئُهَا: تُمِيلُهَا وَتُقَلِّبُهَا يَمِينًا وَشِمَالاً.

(٣) تَعْدِلُهَا: تُقِيمُهَا وَتَرْفَعُهَا، وَبَابُهُ: ضَرَبَ.

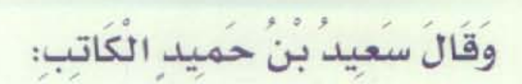
(٤) الأَرْزَةُ - بِالتَّحْرِيكِ، وَالسُّكُونُ أَشْهَرُ -: وَاحِدَةُ الأَرْزِ، وَهُوَ شَجَرُ الصَّنَوْبَرِ.

(٥) انْجِعَافُهَا: انْقِلاعُهَا. أَرَادَ النَّبِيُّ - ﷺ - أَنَّ الْكَافِرَ غَيْرُ مَرْزُوءٍ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ، حَتَّىٰ يَمُوتَ لاقِيًا اللهَ بِذُنُوبِهِ عَامَّةً، فَيَكُونَ مَوْتُهُ أَشَدَّ عَذَابًا عَلَيْهِ فِي خُرُوجِ نَفْسِهِ، فَشَبَّهَ مَوْتَهُ بِانْجِعَافِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ مِنْ أَصْلِهَا.

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٦٤٣)، وَمُسْلِم (٢٨١٠).

(٧) مُتَبَايِنَةٌ: مُتَفَارِقَةٌ.

(٨) كَامِنَةٌ: مُسْتَخْفِيَةٌ.



وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ الْكَاتِبِ:

لا تَعْتِبَنَّ عَلَىٰ النَّوائِبِ

فَالدَّهْرُ يُرْغِمُ كُلَّ عَاتِبْ

وَاصْبِرْ عَلَىٰ حَدَثَاتِهِ

إنَّ الأُمُورَ لَهَا عَوَاقِبْ

كَمْ نِعْمَةٍ مَطْوِيَّةٍ

لَكَ تَحْتَ أَثْنَاءِ النَّوَائِبْ

وَمَسَرَّةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ

مِنْ حَيْثُ تَنْتَظِرُ الْمَصَائِبْ





قَاعِدَةٌ مُطَّرِدَةٌ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الابْتِلاءَ الَّذِي يَلْحَقُ النُّبَلاءَ سَبَبُهُ عَدَمُ سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ؛ وَلِهَذَا تَوَالَتْ عَلَيْهِمُ الْمِحَنُ، وَلازَالَ هَذَا اعْتِقَادَ بَعْضِ الْعَوَامِّ وَالَّذِينَ لا يَفْقَهُونَ.

فَيَا لَيْتَهُمْ يَفْقَهُونَ أَنَّ أَنْبِيَاءَ اللهِ وَقَعَتْ لَهُمْ أَعْظَمُ الْمِحَنِ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلاءُ، وَأَحْدَقَتْ بِهِمُ الْمَصَائِبُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللهِ فِي أَتْبَاعِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

قَالَ الإِمَامُ الشَّوْكَانِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي مَعْرِضِ دِفَاعِهِ عَنْ شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُطَّرِدَةٌ[1] فِي كُلِّ عَالِمٍ مُتَبَحِّرٍ فِي الْمَعَارِفِ الْعِلْمِيَّةِ،



(١) مُطَّرِدَةٌ: أَيْ مُسْتَقِيمَةٌ عَلَى جِهَتِهَا مُتَتَابِعَةٌ لَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا شَيْءٌ.

وَيَفُـوقُ أَهْلَ عَـصْرِهِ، وَيَدِينُ بِالْكِتَـابِ وَالسُّنَّةِ، فَـإِنَّهُ لابُدَّ أَنْ يَسْتَنْكِرَهُ الْمُقَصِّرُونَ، وَيَقَعُ لَهُمْ مَعَهُ مِحْنَةٌ بَعْدَ مَحْنَةٍ، ثُمَّ يَكُونُ أَمْـرُهُ الأَعْلَىٰ، وَقَـوْلُهُ الأَوْلَىٰ، وَيَكُونُ لَهُ بِتِلْكَ الزَّلازِلِ لِسَـانُ صِـدْقٍ فِي الآخِـرِينَ[1]، وَيَكُونُ لِعِلْمِـهِ حَظٌّ لا يَكُونُ لِغَيْرِهِ»[2].

وَصَدَقَ الَّذِي يَقُولُ:

قُلْ لِلَّذِي بِصُـرُوفِ الدَّهْرِ[3] عَـيَّـرَنَا:

هَلْ حَـارَبَ النَّـاسُ إِلاَّ مَنْ لَهُ خَطَرُ[4]؟

أَمَـا تَرَىٰ الْبَـحْـرَ تَعْلُو فَـوْقَـهُ جِـيَفٌ

وَيَسْـتَـقِـرُّ بِأَقْـصَىٰ قَـعْـرِهِ الدُّرَرُ

---

(١) لِسَانُ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ: أَيْ ثَنَاءٌ حَسَنٌ بَاقٍ إِلَىٰ آخِرِ الدَّهْرِ.

(٢) «الْبَدْرُ الطَّالِعِ» (٥٦/١).

(٣) صُرُوفُ الدَّهْرِ: نَوَائِبُهُ وَنَوَازِلُهُ، وَاحِدُهَا صَرْفٌ - بِالْفَتْحِ -.

(٤) الْخَطَرُ - بِفَتْحَتَيْنِ وَيُسَكَّنُ -: الْقَدْرُ وَالشَّرَفُ وَالْمَنْزِلَةُ، وَالْجَمْعُ أَخْطَارٌ.

فَإنْ تَكُنْ عَبِثَتْ أَيْدِي الرَّعَاعِ(١) بِنَا
وَنَالَنَا مِنْ تَمَادِي جَهْلِهِمْ ضَرَرُ

فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لا عِدَادَ لَهَا
وَلَيْسَ يَخْسِفُ إلاَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وَكَمْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ خَضْرَاءَ مُورِقَةٍ
وَلَيْسَ يُرْجَمُ إلاَّ مَا لَهُ ثَمَرُ

---

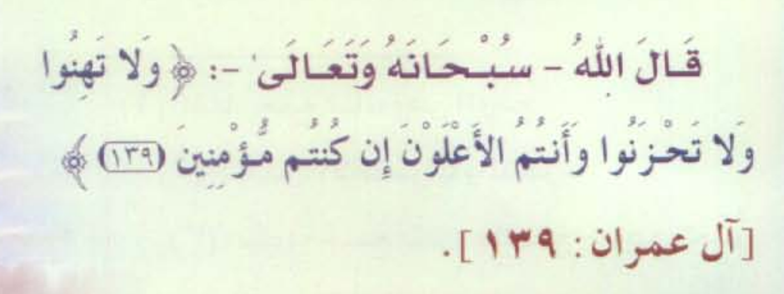
(١) الرَّعَاعُ - بِزِنَةِ السَّحَابِ -: سُقَّاطُ النَّاس وَسَفَلَتُهُمْ، الْوَاحِدُ رَعَاعَةٌ.



شُمُوخٌ

واهِمٌ مَنْ يَرَىٰ انْتِعَاشَ الْبَاطِلِ، وَعُلُوَّ سُلْطَانِهِ، وَامْتِدَادَ تَأْثِيرِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ الْيَأْسُ وَالاسْتِسْلامُ، ثُمَّ الْقُعُودُ وَالرُّكُونُ إِلَىٰ الدُّنْيا.

وَمَا تِلْكَ بِصِفَةِ الْمُؤْمِنِ، فَالْمُؤْمِنُ لا يَعْرِفُ الْيَأْسَ، وَلا يَسْتَسْلِمُ، بَلْ يَجْعَلُ مِنْ قُوَّةِ الْبَاطِلِ قُوَّةً دافِعَةً لَهُ عَلَىٰ الْمُوَاجَهَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ الْمُدَافَعَةِ، وَعَلَىٰ هَذَا سَارَ الصَّحَابَةُ، فَفِي غَزْوَةِ أُحُدٍ لَمَّا انْكَسَرَ الْمُسْلِمُونَ نَزَلَ الْوَحْيُ؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لا يَتَطَرَّقُ الْيَأْسُ إِلَىٰ قَلْبِهِ.



قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

عِشْ عَـــزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَـــرِيمٌ
بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا(١) وَخَفْقِ(٢) الْبُنُودِ(٣)

(١) الْقَنَا: جَمْعُ قَنَاةٍ، وَهِيَ الرُّمْحُ.

(٢) الْخَفْقُ: الاضْطِرَابُ وَالتَّحَرُّكُ.

(٣) الْبُنُودُ: جَمْعُ بَنْدٍ - بِالْفَتْحِ -، وَهُوَ الْعَلَمُ الْكَبِيرُ وَالرَّايَةُ.





الْفَقْرُ صَدِيقُ النُّبَلاءِ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ اجْتِمَاعَ الْعِلْمِ وَالْمَالِ، وَمَتَىٰ حصَلَ فَذَاكَ نَادِرٌ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْفَقْرُ مُلازِمًا لِلْعُلَمَاءِ، مُقِيمًا غَيْرَ بَارِحٍ(١)، كَمَا قِيلَ:

قُلْتُ لِلْفَقْرِ: أَيْنَ أَنْتَ مُقِيمٌ؟

فَقَالَ: تَحْتَ عَمَائِمِ الْفُقَهَاءِ

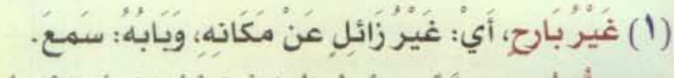
فَأَيْنَمَا حَلَّ الْعِلْمُ حَلَّ مَعَهُ الْفَقْرُ.

فَحَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ

وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ

وَأَمَّا اجْتِمَاعُ الْمَالِ وَالأَدَبِ فَأَنْدَرُ مِنَ النَّادِرِ.

الضَّبُّ وَالنُّونُ(٢) قَدْ يُرْجَىٰ اجْتِمَاعُهَا



وَلَيْسَ يُرْجَىٰ اجْتِمَاعُ الْمَالِ وَالأَدَبِ

---

(١) غَيْرُ بَارِحٍ، أَيْ: غَيْرُ زَائِلٍ عَنْ مَكَانِهِ، وَبَابُهُ: سَمِعَ.

(٢) النُّونُ - بِالضَّمِّ -: الْحُوتُ، وَالْجَمْعُ نِينَانٌ، وَأَنْوَانٌ.



أَزْهَدُ النَّاسِ فِيكَ

واهِمٌ مَــنْ ظَــنَّ أَنَّ أَوَّلَ مَــنْ يَســتَجِيبُ لَهُ هُمْ أَهْلُهُ وَجِيرَانُهُ.

وَيْحَكَ!، مَا أَنْسَاكَ مَا لاقَىٰ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ؟!، وَتَحْسَبُ نَفْسَكَ وَارِثًا لَهُ!.

فَوَطِّنْ نَفْسَكَ(١) عَلَىٰ أَنَّ «أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الْعَالِمِ أَهْلُهُ وَجِيرَانُهُ» كَمَا قَالَ عُرْوَةُ، وَعَلَىٰ هَذَا مَضَىٰ أَتْبَاعُ الأَنْبِيَاءِ.

وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي، وَفِي وَطَنِي
إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ أَيْنَمَا كَانَ

---

(١) تَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَىٰ الشَّيْءِ وَلَهُ: حَمْلُهَا عَلَيْهِ.



الشُّهْرَةُ

واهمٌ مَنْ غَرَّهُ مَدْحُ مَادحٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ لا يُثَقِّلُ ميزَانَهُ، فَمَا يَعْلَمُهُ مِنْ جُنُوحِ نَفْسِهِ[1]، وَعَثَرَاتِهَا الْمَسْتُورَةِ، وخَبَايَا السُّوءِ فِيهَا - هُوَ الَّذِي سَيُحَاسَبُ عَلَيْهِ؛ فَلا يُحْسِنِ الظَّنَّ بِهَا تَبَعًا لِمَدْحِ النَّاسِ.

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ - رَحِمَهُمُ اللهُ - يَنْفِرُونَ مِنْ مَجَالِسِ الشُّهْرَةِ وَمَجَالِسِ الثَّنَاءِ، وَيُحَذِّرُونَ مِنْهَا.

قَالَ أَيُّوبُ - رَحِمَهُ اللهُ -: «مَا صَدَقَ عَبْدٌ - قَطُّ - فَأَحَبَّ الشُّهْرَةَ»[2].

---

(١) جُنُوحُ نَفْسِهِ: مَيَلانُهَا عَنِ الْحَقِّ.

(٢) «السِّيَر» (٦/٢٠).

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «قَالَ لِي سُفْيَانُ: إِيَّاكَ وَالشُّهْرَةَ؛ فَمَا أَتَيْتُ أَحَداً إِلاَّ وَقَدْ نَهَى عَنِ الشُّهْرَةِ»(١).

وَقَالَ بِشْرٌ الْحَافِيّ: «مَا اتَّقَى اللهَ مَنْ أَحَبَّ الشُّهْرَةَ» (٢).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - مِنْ ذَلِكَ أَمْراً لَمْ أُشَاهِدْهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَانَ يَقُولُ كَثِيراً: مَا لِي شَيْءٌ، وَلا مِنِّي شَيْءٌ، وَلا فِيَّ شَيْءٌ. وَكَانَ كَثِيراً مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ(٣):

أَنَا الْمُكَدِّي(٤)، وَابْنُ الْمُكَدِّي

وَهَكَذَا كَانَ أَبِي وَجَدِّي

وَكَانَ إِذَا أُثْنِيَ عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ يَقُولُ: وَاللهِ، إِنِّي إِلَى الآنَ أُجَدِّدُ إِسْلامِي كُلَّ وَقْتٍ، وَمَا أَسْلَمْتُ بَعْدُ إِسْلاماً جَيِّداً» (٥).

---

(١) «السِّيَر» (٧/٢٦٠).

(٢) «السِّيَر» (١٠/٤٧٦).

(٣) تَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ، وَهَذَا الْبَيْتُ: أَنْشَدَهُ.

(٤) الْمُكَدِّي: الْمُقَلِّلُ عَطَاءَهُ وَخَيْرَهُ.

(٥) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (١/٥٢٤).



أَلَذُّ مِنَ الْمُنَى (١)

وَاهِمٌ مَنْ مَنَّى النَّفْسَ الأَمَانِيَّ الْكَاذِبَةَ، وَتَسَلَّى بِهَا عَنِ الْمَطَالِبِ الْعَلِيَّةِ؛ لِيَقْطَعَ عَلَى نَفْسِهِ جِدَّهَا.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَأَخَسُّ النَّاسِ هِمَّةً، وَأَوْضَعُهُمْ نَفْسًا مَنْ رَضِيَ مِنَ الْحَقَائِقِ بِالأَمَانِيِّ الْكَاذِبَةِ، وَاسْتَجْلَبَهَا لِنَفْسِهِ، وَتَحَلَّى بِهَا (٢)، وَهِيَ - لَعَمْرُ اللهِ - رُءُوسُ أَمْوَالِ الْمُفْلِسِينَ، وَمَتَاجِرُ الْبَاطِلِينَ، وَهِيَ قُوَّةُ النَّفْسِ الْفَارِغَةِ الَّتِي قَدْ قَنِعَتْ مِنَ الْوَصْلِ بِزَوْرَةِ الْخَيَالِ (٣)، وَمِنَ الْحَقَائِقِ بِكَوَاذِبِ الآمَالِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

---

(١) مَثَلٌ يُضْرَبُ لِلتَّلَذُّذِ؛ لأَنَّ النَّفْسَ تَطِيبُ بِالأَمَانِيِّ، انْظُرْهُ فِي «مجمع الأَمْثَالِ» (٢/٢٦٣)، وَ«الدرة» (٢/٣٦٩)، وَ«الْمُسْتَقْصي» (١/٣٢١)، وَ«الجمهرة» (٢/١٨٠).

(٢) تَحَلَّى بِهَا: اتَّصَفَ.

(٣) الْخَيَالُ - بِالْفَتْحِ -: مَا تَشَبَّهَ لَكَ فِي الْيَقَظَةِ وَالْحُلْمِ مِنْ صُورَةٍ، وَالْجَمْعُ أَخْيِلَةٌ.

أَمَانِيٌّ مِنْ سُعْدَى(١) رِوَاءٌ(٢) عَلَى الظَّمَا

سَقَتْنَا بِهَا سُعْدَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدَا

مُنًى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى

وَإِلاَّ فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا(٣)(٤)

أَلا مَا أَقْبَحَ التَّمَنِّي!، وَإِنْ كَانَ فِيهِ لَذَاذَةٌ تَمْضِي مَعَ الرِّيحِ، فَهُوَ يُخْلِقُ(٥) الْعَقْلَ، وَيَطْرُدُ الْقَنَاعَةَ، وَيُثْمِرُ الْوَسْوَسَةَ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيُّ التَّائِبُ مِنَ الأَمَانِيِّ (ت:٤٦٧ هـ):

تَرَكْتُ الاتِّكَالَ عَلَى الأَمَانِي

وَبِتُّ أُضَاجِعُ الْيَأْسَ الْمُرِيحَا

وَذَاكَ لأَنِّي مِنْ قَبْلِ هَذَا

أَكَلْتُ تَمَنِّيًا، فَخَرِيتُ رِيحَا

---

(١) سُعْدَى - بِزِنَةِ صُغْرَى -: اسْمُ امْرَأَةٍ.

(٢) رِوَاءٌ - بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ -، أَيْ: عَذْبَةٌ فِيهَا لِلْوَارِدِينَ رِيٌّ.

(٣) رَغْدًا - بِالْفَتْحِ وَالتَّحْرِيكِ - أَيْ: رَفِيهًا طَيِّبًا.

(٤) «الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ» (٢٠٥).

(٥) يُخْلِقُ: يُبْلِي.





احْتِرَامُ النَّاسِ وَتَوْقِيرُهُمْ

وَاهِمٌ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلَهُ النَّاسُ بِأَحْسَنِ الأَخْلاقِ وَأَتَمِّهَا، وَهُوَ لا يُعَامِلُهُمْ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوهُ.

يَقُولُ النَّبِيُّ - ﷺ - كَما فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»[1].

وَيُرْشِدُ إِلَى حُسْنِ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ - كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2].

وَأَعْظَمُ النَّاسِ وَهْمًا مَنْ يَطْلُبُ تَوْقِيرَ النَّاسِ، وَهُوَ لَمْ يُوَقِّرِ اللهِ حَقَّ تَوْقِيرِهِ.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٤٤).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣)، وَمُسْلِمٌ (٤٥).

قَالَ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ أَنْ تَطْلُبَ التَّعْظِيمَ وَالتَّوْقِيرَ مِنَ النَّاسِ، وَقَلْبُكَ خَالٍ مِنْ تَعْظِيمِ اللهِ وَتَوْقِيرِهِ،فَإِنَّكَ تُوَقِّرُ الْمَخْلُوقَ وَتُجِلُّهُ أَنْ يَرَاكَ فِي حَالٍ لا تُوَقِّرُ اللهَ أَنْ يَرَاكَ عَلَيْهِ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [نُوح: ١٣].

أَيْ: تُعَامِلُونَهُ مُعَامَلَةَ مَنْ تُوَقِّرُونَهُ»[1].

(١) «الْفَوَائِدُ» (٢٢٨ - ٢٢٩).



السَّلامَةُ مِنَ النَّاسِ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ إِلَىٰ السَّلامَةِ مِنَ النَّاسِ سَبِيلٌ، وَذَلِكَ مُحَالٌ؛ فَمَا سَلِمَ مِنَ النَّاسِ أَنْبِيَاءُ اللهِ وَرُسُلُهُ، بَلْ مَا سَلِمَ مِنْهُمْ خَالِقُهُمْ، فَكَيْفَ تَنْفَرِدُ بِالسَّلامَةِ؟!.

وَلَيْسَ يَخْلُو الزَّمَانُ مِنْ شُغْلٍ
فِيهِ، وَلا مِنْ خِيَانَةٍ وَخَنَا(١)
مَا سَلِمَ اللهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ
وَلا نَبِيُّ الْهُدَىٰ، فَكَيْفَ أَنَا؟!

فَوَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَىٰ السَّلامَةِ مِنَ النَّاسِ سَبِيلٌ، وَانْظُرْ إِلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَيُصْلِحُكَ مَعَ اللهِ فَافْعَلْهُ وَرَدِّدْ قَوْلَ عُمَرَ ابْنِ الْوَرْدِيِّ:

لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدٍّ، وَلَوْ
حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ الْجَبَلْ

---

(١) الْخَنَا: الْفُحْشُ فِي الْمَنْطِقِ، وَقَدْ خَنِيَ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ صَدِيَ.



الْحِكْمَةُ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْحِكْمَةَ كَسْبِيَّةٌ تَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ كَسْبِ الْعَبْدِ.

فَالْحِكْمَةُ هِبَةٌ وَفَضْلٌ مِنَ اللهِ ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٦٩].

فَاللهُ هُوَ الَّذِي وَفَّقَ وَسَدَّدَ، وَأَعْطَىٰ وَيَسَّرَ.

وَنَصِيبُ الْمَرْءِ مِنَ الْحِكْمَةِ بِقَدْرِ نَصِيبِهِ مِنَ اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.





الأَمَانَةُ

وَاهِمٌ مَنْ فَسَّرَ الأَمَانَةَ بِشَيْءٍ مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ: كَحِفْظِ الْوَدَائِعِ.

فَالأَمَانَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢)﴾ [الأَحْزَابُ: ٧٢].

تَعُمُّ جَمِيعَ وَظَائِفِ الدِّينِ، وَهُوَ قَوْلُ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ[(١)].

قَالَ الْكَفَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «كُلُّ مَا افْتُرِضَ عَلَىٰ الْعِبَادِ فَهُوَ أَمَانَةٌ: كَصَلاةٍ، وَزَكَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَأَدَاءِ دَيْنٍ، وَأَوْكَدُهَا الْوَدَائِعُ، وَأَوْكَدُ الْوَدَائِعِ كَتْمُ الأَسْرَارِ»[(٢)].

---

(١) «الْجَامِعُ لأَحْكَامِ الْقُرآنِ» لِلْقُرْطُبِيِّ (١٤/٢٥٣)، وَ«فَتْحُ الْقَدِيرِ» (٤/٣٠٨ - ٣٠٩).

(٢) «الْكُلِّيَّاتُ» (١٨٧).





الشَّجَاعَةُ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الشَّجَاعَةَ فِي قُوَّةِ الْبَدَنِ.

وَإِنَّمَا هِيَ: «شِدَّةُ الْقَلْبِ فِي الْبَأْسِ» (١).

فَهِيَ خُلُقٌ مَحلُّهُ الْقَلْبُ وَيظْهَرُ أَثَرُهُ فِي الأَفْعَالِ وَالأَقْوَالِ، وَالتُّرُوكِ.

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَالشَّجَاعَةُ لَيْسَتْ هِيَ قُوَّةَ الْبَدَنِ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ قَوِيَّ الْبَدَنِ ضَعِيفَ الْقَلْبِ، وَإِنَّمَا هِيَ: قُوَّةُ الْقَلْبِ وَثَبَاتُهُ» (٢).

قُلْتُ: أَشْجَعُ النَّاسِ الَّذِي يَقُولُ:

أَشُدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ (٣) لا أُبَالِي
أَحَتْفِي (٤) كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا (٥)

---

(١) «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٧٣/٨).

(٢) «الْفَتَاوَى» (١٥٨/٢٨).

(٣) الْكَتِيبَةُ - بِزِنَةِ الصَّحِيفَةِ -: الْقِطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْجَيْشِ، وَالْجَمْعُ الْكَتَائِبُ.

(٤) الْحَتْفُ - بِالْفَتْحِ -: الْمَوْتُ، وَالْجَمْعُ الْحُتُوفُ.

(٥) «صَفْوَةُ الأَخْبَارِ وَالآثَارِ» (٨٣).





التَّكَلُّفُ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ تَقْلِيدَ الرِّجَالِ فِي أَصْوَاتِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ مِنْ عَلامَةِ الرُّجُولَةِ الْكَامِلَةِ.

لَوْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَوَهَّمَهُ، لَمَا تَرَكَ الصَّحَابَةُ مُحَاكَاةَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - أَعْظَمِ رَجُلٍ عَرَفَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ، فَلَمْ يُنْقَلْ إِلَيْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يُحَاكُونَ صَوْتَهُ وَحَرَكَاتِهِ وَإِشَارَتَهُ فِي قِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ، أَوْ خَطَابَتِهِ، مَعَ شِدَّةِ حُبِّهِمْ لَهُ.

وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الأُصُولِ : أَنَّ تَرْكَ الْعَمَلِ بِالشَّيْءِ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ - ﷺ - مَعَ وُجُودِ الْمُقْتَضَى لَهُ - يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الْمَشْرُوعِيَّةِ.

وَالإِنْسَانُ مَهْمَا تَخَلَّقَ بِغَيْرِ أَخْلاقِهِ، وَابْتَدَعَ مَا لَيْسَ مِنْ طَبْعِهِ فَسَيَنْكَشِفُ الْبَهْرَجُ وَيَعُودُ إِلَى جِبِلَّتِهِ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا وَلابُدَّ.



قَالَ ذُو الإِصْبَعِ العَدْوانِيّ:

كُلُّ امْـــرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًـــا لِشِـيـمَـتِـهِ

وَإِنْ تَـخَلَّـقَ أَخْـــلاقًـــا إِلَى حِينِ

وَقَالَ كُثَيرُ عَزَّةَ:

وَمَنْ يَبْـتَـدِعْ مَـا لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ

يَدَعْـهُ وَيَغْلِبْـهُ عَلَى النَّفْسِ خِـيـمُـهَـا

وَقَالَ آخَرُ:

وَأَسْــرَعُ مَـفْـعُـولٍ فَـعَلْتَ تَغْـيُّـرًا

تَكَلُّفُ شَيْءٍ فِي طِبَـــاعِكَ ضِـــدُّهُ





الْهَدِيَّةُ

لَقَدْ وَهِمَ مَنْ عَرَفَ الأَثَرَ الْعَظِيمَ لِلْهَدِيَّةِ، ثُمَّ يَعْدِلُ عَنْهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا.

فَالْهَدِيَّةُ سَبِيلُ الْحُبِّ، وَبِسَاطُ الْوُدِّ، وَإِكْسِيرُ الأُلْفَةِ، وَبَرِيدُ الْقَلْبِ، وَشِعَارُ التَّقْدِيرِ، وَعُنْوَانُ التَّكْرِيمِ، وَالسِّحْرُ الْحَلالُ الَّذِي يَفْتَحُ الْبَابَ الْمُصْمَتَ [١]، وَيَسُلُّ [٢] سَخِيمَةَ [٣] الْقَلْبِ، وَيَذْهَبُ بِوَحَرِ الصَّدْرِ [٤].

فَلْيَحْرِصْ عَلَيْهَا مَا اسْتَطَاعَ، وَخَاصَّةً الدَّاعِيَةَ إِلَىٰ اللهِ؛ عَلَّهُ يَتَسَلَّلُ إِلَىٰ تِلْكَ الْقُلُوبِ الشَّارِدَةِ، فَيَرُدُّهَا إِلَىٰ رِيَاضِ الْهُدَىٰ وَالإِيمَانِ.

---

(١) الْبَابُ الْمُصْمَتُ: الْمُبْهَمُ إِغْلاقُهُ.

(٢) السَّلُّ: انْتِزَاعُ الشَّيْءِ وَإِخْرَاجُهُ فِي رِفْقٍ، وَبَابُهُ: رَدَّ.

(٣) السَّخِيمَةُ: الْحِقْدُ، وَالْجَمْعُ السَّخَائِمُ.

(٤) وَحَرُ الصَّدْرِ - بِالتَّحْرِيكِ -: غِلُّهُ وَعَدَاوَتُهُ.



هَدَايَا النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ
تُوَلِّدُ فِي قُلُوبِهِمُ الْوِصَالا
وَتَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ هَوًى وَوُدًّا
وَتَكْسُوكَ الْمَهَابَةَ وَالْجَلالا
مَصَايِدُ لِلْقُلُوبِ بِغَيْرِ لَغَبٍ(١)
وَتَمْنَحُكَ الْمَحَبَّةَ وَالْجَمَالا



---

(١) اللَّغَبُ: كَالتَّعَبِ زِنَةً وَمَعْنًى.



مَوَدَّةُ الصَّالِحِينَ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أنَّ النَّاسَ كَافَّةً سَيَوَدُّونَهُ مَا اسْتَقَامَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

فَالْمَوَدَّةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الله فِي كِتَابِهِ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) ﴾ [مريم: ٩٦].

مَوَدَّةٌ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ، وَلَيْسَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ كَافَّةً، أَلاَ تَرَىٰ أَكْثَرَ النَّاسِ مُقَصِّرِينَ فِي حَقِّ خَالِقِهِمْ، وَالْقَلِيلُ النَّادِرُ هُمُ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ .

قَالَ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ سَعْدِيٍّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَالنَّاسُ فِي مُعَامَلَةِ الصَّالِحِينَ ثَلاثَةُ أَقْسَامٍ:

١ - أَهْلُ الْجَفَاءِ: الَّذِينَ يَهْضِمُونَهُمْ حُقُوقَهُمْ، وَلا يَقُومُونَ بِحَقِّهِمْ: مِنَ الْحُبِّ وَالْمُوَالاةِ لَهُمْ، وَالتَّوْقِيرِ وَالتَّبْجِيلِ.



٢ - أَهْلُ الْغُلُوِّ: الَّذِينَ يَرْفَعُونَهُمْ فَوقَ مَنْزِلَتِهِمُ الَّتِي أَنْزَلَهُمُ اللهُ بِهَا.

٣ - أَهْلُ الْحَقِّ: الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ وَيُوَالُونَهُمْ، وَيَقُومُونَ بِحُقُوقِهِمُ الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنَّهُمْ يَبْرَءُونَ مِنَ الْغُلُوِّ فِيهِمْ، وَادِّعَاءِ عِصْمَتِهِمْ» (١).

وَأَحْبِبْ - لِحُبِّ اللهِ - مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا
وَأَبْغِضْ - لِبُغْضِ اللهِ - أَهْلَ التَّمَرُّدِ
وَمَا الدِّينُ إِلاَّ الْحُبُّ وَالْبُغْضُ وَالْوَلا
كَذَاكَ الْبَرَا مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدِي



---

(١) «الْقَوْلُ السَّدِيدُ» (٧٤).



صِلَةُ الرَّحِمِ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ إنَّمَا تَكُونُ مُكَافَأَةً لِلْمَعْرُوفِ بِمِثْلِهِ، فَيَصِلُ مَنْ وَصَلَهُ، وَيَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهُ.

وَهَذَا لَيْسَ مِنَ الصِّلَةِ فِي شَيْءٍ، فَالْوَاصِلُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «لَيْسَ الْوَصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» [١].



---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٩١).

وَحَسْبُكَ مِنْ ذُلٍّ وَسُوءِ صَنِيعَةٍ

مُنَاوَاةُ[١] ذِي الْقُرْبَى، وَإِنْ قِيلَ: قَاطِعُ

وَلَكِنْ أُوَاسِيهِ، وَأَنْسَى ذُنُوبَهُ

لِتُرْجِعَهُ يَوْمًا إِلَيَّ الرَّوَاجِعُ

وَلَا يَسْتَوِي فِي الْحُكْمِ عَبْدَانِ: وَاصِلٌ

وَعَبْدٌ لِأَرْحَامِ الْقَرَابَةِ قَاطِعُ[٢]

---

(١) مُنَاوَاةُ: مُعَادَاةُ.

(٢) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّين» (١٥٣).



مَوَدَّةُ الْقَرِيبِ

وَاهِمٌ مَنْ لا يَوَدُّ أَقَارِبَهُ، وَلا يَتَوَدَّدُ إلَيْهِمْ، وَلا يَتَعَاهَدُهُمْ بِالْمَوَدَّةِ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ الْقَرَابَةَ سَرِيعَةُ الْجَفَافِ، كَالْمَنَاطِقِ الْحَارَّةِ إِذَا انْقَطَعَتْ عَنْهَا الْمِيَاهُ لِفَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ، تَحَوَّلَتْ إِلَىٰ صَحْرَاءَ قَاحِلَةٍ.

وَمِنْ تَوْجِيهِ النَّبِيِّ - ﷺ - :

«بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ [١]، وَلَوْ بِالسَّلامِ» [٢].

وَمَعْنَىٰ « بُلُّوا » مِنَ الْبَلَلِ ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي يَبُلُّ

---

(١) بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ، أَيْ: نَدُّوهَا بِالصِّلَةِ،وَبَابُهُ : رَدَّ، وَبِلالاً - أَيْضًا بِالْكَسْرِ -.

(٢) صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ وَكِيعٌ فِي «الزُّهْدِ» (٢/٧٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٨٣٨).

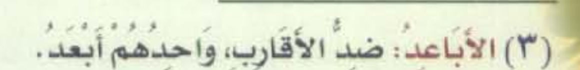
الْحَشِيشَ؛ لِيُعِيدَهُ رَطْبًا حَتَّىٰ لا يُسْرِعَ إِلَيْهِ الْيُبْسَ، فَيَكُونُ سَبَبًا فِي تَقْطِيعِهِ، فَتُفَرِّقُهُ الرِّيَاحُ شَذَرَ مَذَرَ، فَكَذَلِكَ الْقَرَابَةُ.

لاَ خَـيْـرَ فِي قُـرْبَىٰ بِغَـيْـرِ مَـوَدَّةٍ

وَلَـرُبَّ مُنْتَـفِـعٍ بِوُدِّ أَبَاعِـدِ[١]

وَإِذَا الْقَـرَابَـةُ أَقْـبَـلَتْ بِمَـوَدَّةٍ

فَـاشْـدُدْ لَهَـا كَفَّ الْقَبُـولِ بِسَـاعِـدِ


(٣) الأَبَاعِدُ: ضِدُّ الأَقَارِبِ، وَاحِدُهُمْ أَبْعَدُ.



السِّيَاسَةُ

واهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ السِّيَاسَةَ الَّتِي تَسِيرُ عَلَىٰ مَبَادِئِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ تَرْعَىٰ شُئُونَ الأُمَّةِ، وَتَعْمَلُ عَلَىٰ إِصْلاحِ الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةِ.

هَيْهَاتَ(١)، فَتِلْكَ حُمَّىٰ مُخَدِّرَةٌ(٢)، وَسَرابٌ(٣) بِقِيعَةٍ(٤)، وَبَرِيدُ النِّفَاقِ، وَسُلَّمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ(٥).

---

(١) هَيْهَاتَ - وَفِيهَا لُغَاتٌ -: اسْمُ فِعْلٍ مَاضٍ، بِمَعْنَىٰ: بَعُدَ جِداً.

(٢) مُخَدِّرَةٌ: مَسْتُورَةٌ.

(٣) السَّرَابُ - بِالْفَتْحِ -: مَا يُرَىٰ فِي الصَّحَارِي مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ عِنْدَ اشْتِدَادِ حَرِّ النَّهَارِ كَأَنَّهُ مَاءٌ، وَسُمِّيَ سَرَابًا؛ لأَنَّهُ يَسْرُبُ (أَيْ: يَجْرِي كَالمَاءِ).

(٤) الْقِيعَةُ - بِالْكَسْرِ -: جَمْعُ قَاعٍ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْمُنْخَفِضُ الَّذِي يَسْتَقِرُّ فِيهِ الْمَاءُ، وَقِيلَ: الْقِيعَةُ وَالْقَاعُ وَاحِدٌ.

(٥) الْحَرْفُ - بِالْفَتْحِ -: الشَّكُّ، وَأَصْلُهُ مِنْ حَرْفِ الشَّيْءِ: وَهُوَ طَرَفُهُ، وَمِنْهُ حَرْفُ الْجَبَلِ، وَهُوَ أَعْلاهُ الْمُمَدَّدُ، فَإِنَّ الْقَائِمَ عَلَيْهِ مُضْطَرِبٌ غَيْرُ مُسْتَقِرٍّ، وَالَّذِي يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ قَلِقٌ فِي دِينِهِ عَلَىٰ غَيْرِ ثَبَاتٍ وَطُمَأْنِينَةٍ؛ كَالَّذِي هُوَ عَلَىٰ حَرْفِ الْجَبَلِ.

وَلله دَرُّ العَلاَّمَةِ الألْبَانِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - حِينَ قَالَ عَنِ السِّيَاسَةِ بَعْدَ أَنِ اكْتَوَىٰ بِنَارِهَا: «مِنَ السِّيَاسَةِ تَرْكُ السِّيَاسَةِ».

فَهَلْ مِنْ مُعْتَبِرٍ؟، فَإِنَّ السَّعِيدَ مَنِ اتَّعَظَ بِغَيْرِه.

مَنْ مُخْبِرُ القَوْمِ شَطَّتْ(١) دَارُهُمْ وَنَأَتْ(٢)

أَنِّي رَجَعْتُ إِلَىٰ كُتُبِي وَأَوْرَاقِي

عِفْتُ السِّيَاسَةَ حَتَّىٰ مَا أَلَمَّ بِهَا(٣)

وَقَدْ رَدَدْتُ إِلَيْهَا كُلَّ مِيثَاقِ

لأَنَّهَا جَشَّمَتْنِي(٤) كُلَّ نَائِبَةٍ(٥)

وَأَنَّهَا كَلَّفَتْنِي غَيْرَ أَخْلاَقِي

---

(١) شَطَّتْ: بَعُدَتْ، وَبَابُهُ: رَدَّ وَجَلَسَ.

(٢) نَأَتْ: بَعُدَتْ، وَبَابُهُ: سَعَىٰ.

(٣) أَلَمَّ بِهَا: نَزَلَ.

(٤) جَشَّمَتْنِي: كَلَّفَتْنِي عَلَىٰ مَشَقَّةٍ.

(٥) النَّائِبَةُ: الْمُصِيبَةُ، وَالْجَمْعُ النَّوَائِبُ.



البُخْلُ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ إِنْفَاقَ فُضُولِ الْمَالِ سَبَبٌ لِلْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ إِلَىٰ النَّاسِ، وَهَذَا مِنْ حِيَلِ الشَّيْطَانِ وَتَلْبِيسِهِ.

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٦٨].

فَالْفَحْشَاءُ هُنَا: الْبُخْلُ بِإِجْمَاعِ الْمُفَسِّرِينَ، بَلْ مِنْ أَقْبَحِ الْفَوَاحِشِ (١).

فَالْعِبَادُ بَيْنَ دَاعِيَيْنِ: دَاعِي الرَّحْمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْخَيْرِ، وَيَعِدُهُمْ عَلَيْهِ الْخَيْرَ وَالْفَضْلَ، وَالثَّوَابَ الْعَاجِلَ وَالآجِلَ، وَإِخْلَافَ مَا أَنْفَقُوا، وَدَاعِي الشَّيْطَانِ الَّذِي يَحُثُّهُمْ عَلَىٰ الإِمْسَاكِ، وَيُخَوِّفُهُمْ - إِنْ أَنْفَقُوا - أَنْ يَفْتَقِرُوا.

فَمَنْ كَانَ مُجِيبًا لِدَاعِي الرَّحْمَنِ، وَأَنْفَقَ مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ - فَلْيُبْشِرْ بِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَحُصُولِ كُلِّ مَطْلُوبٍ، وَمَنْ كَانَ مُجِيبًا

(١) انْظُرْ «طَرِيقُ الْهِجْرَتَيْنِ» لابْنِ الْقَيِّمِ (٣٧٤).



لِدَاعِي الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ؛ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ، فَلْيَخْتَرِ الْعَبْدُ أَيَّ الأَمْرَيْنِ أَلْيَقُ بِهِ (١).

قَالَ الْمُوصِلِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وَآمِرَةٍ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا: اقْصُرِي
فَلَيْسَ إِلَىٰ مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ

أَرَىٰ النَّاسَ خُلاَّنَ الْجَوَادِ، وَلا أَرَىٰ
بَخِيلاً لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ

وَإِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ
فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ: بَخِيلُ

وَمِنْ خَيْرِ حَالاَتِ الْفَتَىٰ - لَوْ عَلِمْتِهِ -
إِذَا نَالَ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ يُنِيلُ

عَطَائِي عَطَاءُ الْمُكْثِرِينَ تَجَمُّلاً
وَمَا لِي - كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ - قَلِيلُ

---

(١) انظُرْ «تَفْسِير ابْنِ سَعْدِيٍّ» (١١٧).

(٢) اقْصُرِي: كُفِّي، وَبَابُهُ نَصَرَ.

(٣) خُلاَّن - بِالضَّمِّ -: جَمْعُ خَلِيلٍ، وَهُوَ الصَّدِيقُ الْمُخْتَصُّ، وَيُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَىٰ أَخِلاَّءَ.

(٤) يُقَالُ: أَزْرَىٰ بِهِ: إِذَا حَقَّرَهُ وَهَوَّنَهُ.

(٥) أَنَالَهُ الشَّيْءَ: أَعْطَاهُ إِيَّاهُ.



الْعِزَّةُ

واهِمٌ مَنْ رَامَ الْعِـزَّةَ - مِنْ غَـيْـرِ الْوُقُـوفِ عَلَىٰ عَتَبَةِ الْعُبُودِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ، وَلَيْسَ لأَحَدٍ مِنْهَا شَيْءٌ.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فَاطِر : ١٠].

وَضِدُّ الْعِزَّةِ الذِّلَّةُ، وَسَبَبُهَا الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي.

قَالَ الْـحَسَنُ - رَحِـمَـهُ اللَّهُ -: «إِنَّهُمْ - وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ(١)، وَهَمْلَجَتْ(٢) بِهِمُ الْبَـرَاذِينُ(٣) - إِنَّ ذُلَّ الْـمَعْصِيَةِ لا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَىٰ اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ»(٤).

---

(١) طَقْطَقَةُ الْبِغَالِ: صَوْتُ قَوَائِمِهَا عَلَىٰ الأَرْضِ الصُّلْبَةِ.

(٢) الْهَمْلَجَةُ: حُسْنُ سَيْرِ الدَّابَّةِ فِي سُرْعَةٍ وَبَخْتَرَةٍ.

(٣) الْبَرَاذِينُ: جَمْعُ الْبِرْذَوْنِ - بِكَسْرِ الْبَاءِ وَفَتْحِ الذَّالِ، بَيْنَهُمَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ - وَيُطْلَقُ عَلَىٰ غَيْـرِ الْعَـرَبِيِّ مِنَ الْـخَـيْلِ وَالْبِغَالِ.

(٤) «الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ» (٩٠).



وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللهُ - :

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ

وَقَدْ يُورِثُ(١) الذُّلَّ إدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ

وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إلاَّ الْمُلُوكُ

وَأَحْبَارُ(٢) سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا(٣)(٤)

---

(١) يُورِثُ: يُعْقِبُ.

(٢) الأَحْبَارُ: عُلَمَاءُ الْيَهُودِ، وَاحِدُهُمْ حَبْرٌ - بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ -.

(٣) الرُّهْبَانُ: عُبَّادُ النَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ، وَاحِدُهُمْ رَاهِبٌ.

(٤) «الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ» (٩٠).



سَلامَةُ الصَّدْرِ

واهِمٌ مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِمَنْ يُبْغِضُهُ، وَشَتَّتَ فِكْرَهُ بِمَنْ نَالَ مِنْهُ، فَأَصْحَابُ النُّفُوسِ الْعَامِرَةِ بِالْعِلْمِ وَالإيمَانِ لا يَلْتَفِتُونَ لِمِثْلِ هذِهِ الصغَائِرِ، وَلا تَشْغَلُهُمْ تِلْكَ التَّوَافِهُ، بَلْ يَسْمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَىٰ أُفُقٍ بَعِيدٍ، فَلا تَجِدُ سَبِيلاً لِلانْتِقَامِ وَالانْتِصَارِ لِلنَّفْسِ.

قَالَ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «مَشْهَدٌ شَرِيفٌ جِداً لِمَنْ عَرَفَهُ، وَذَاقَ حَلاوَتَهُ، وَهُوَ: أَلاَّ يَشْتَغِلَ قَلْبُهُ وَسِرُّهُ بِمَا نَالَهُ مِنَ الأَذَىٰ وَطَلَبِ الْوُصُولِ إِلَىٰ دَرْكِ ثَأْرِهِ، وَشِفَاءِ نَفْسِهِ، بَلْ يُفَرِّغُ قَلْبَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَرَىٰ أَنَّ سَلامَتَهُ وَبَرْدَهُ وَخُلُوَّهُ مِنْهُ أَنْفَعُ لَهُ، وَأَلَذُّ

وَأَطْيَبُ، وَأَعْوَنُ عَلَىٰ مَصَالِحِهِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ، فَاتَهُ مَا هُوَ أَهَمُّ عِنْدَهُ، وَخَيْرٌ لَهُ مِنْهُ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ مَغْبُونًا[١]، وَالرَّشِيدُ لا يَرْضَىٰ بِذَلِكَ، وَيَرَىٰ أَنَّهُ مِنْ تَصَرُّفَاتِ السَّفِيهِ، فَأَيْنَ سَلامَةُ الْقَلْبِ مِنِ امْتِلائِهِ بِالْغِلِّ وَالْوَسَاوِسِ، وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ فِي إِدْرَاكِ الانْتِقَامِ؟!»[٢].

وَمَا أَشْكُو تَلَوُّنَ أَهْلِ وُدِّي
وَلَوْ أَجْدَتْ[٣] شَكِيَّتُهُمْ شَكَوْتُ
مَلِلْتُ عِتَابَهُمْ، وَيَئِسْتُ مِنْهُمْ
فَمَا أَرْجُوهُمُ فِيمَنْ رَجَوْتُ
إِذَا أَدْمَتْ قَوَارِصُهُمْ[٤] فُؤَادِي
وَصَبَرْتُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ وَانْطَوَيْتُ[٥]

---

(١) الْمَغْبُونُ: الْخَاسِرُ وَالْمَنْقُوصُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْغَبْنِ، وَهُوَ الْبَيْعُ بِأَقَلَّ مِنْ ثَمَنِ الْمِثْلِ.

(٢) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (٢/ ٣٢٠).

(٣) أَجْدَتْ: نَفَعَتْ وَأَغْنَتْ.

(٤) الْقَوَارِصُ: جَمْعُ قَارِصَةٍ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْمُؤْذِيَةُ الْمُنَغِّصَةُ.

(٥) انْطَوَيْتُ: أَعْرَضْتُ وَفَصَلْتُ.



وَجِئْتُ إِلَيْهِمْ طَلْقَ(١) الْمُحَيَّا(٢)

كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ وَلا رَأَيْتُ

تَجَنَّوْا(٣) لِي ذُنُوبًا مَا جَنَتْهَا

يَدَايَ، وَلا أَمَرْتُ وَلا نَهَيْتُ

وَلا وَاللهِ، مَا أَضْمَرْتُ(٤) عُذْرًا

كَمَا قَدْ أَظْهَرُوهُ وَلا نَوَيْتُ

وَيَوْمُ الْحَشْرِ مَوْعِدُنَا، وَتَبْدُو

صَحِيفَةُ مَا جَنَوْهُ وَمَا جَنَيْتُ



(١) طَلْقُ - مُثَلَّثَةً وَكَكَتِفٍ -أَيْ:ضَاحِكُهُ مُشْرِقُهُ.

(٢) الْمُحَيَّا - بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ -: الْوَجْهُ.

(٣) التَّجَنِّي: كَالتَّجَرُّمِ، وَهُوَ أَنْ يَتَقَوَّلَ عَلَيْكَ ذَنْبًا لَمْ تَفْعَلْهُ.

(٤) أَضْمَرْتُ: أَخْفَيْتُ.



الإغْضَاءُ عَنْ زَلَّةِ الإخْوَانِ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أنَّ قَبُولَ الْعُذْرِ لأَوَّلِ وَهْلَةٍ لا يَتَّفِقُ وَالرُّجُولَةَ،وَلا يَحْفَظُ لِلْمَرْءِ مَكَانَتَهُ وَجَاهَهُ، بَلِ الرُّجُولَةُ الْحَقَّةُ أَنْ تَلْتَمِسَ لأَخِيكَ الأَعْذَارَ، وَلَوْ لَمْ يَعْتَذِرْ، فَذَلِكَ مِمَّا يَحْفَظُ لَهُ مَكَانَتَهُ وَجَاهَهُ وَمُرُوءَتَهُ.

فَفِي قِصَّةِ مَاعِزٍ عِنْدَ «الْبُخَارِيِّ» لَمَّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ لَهُ: طَهِّرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ لَهُ: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ [1] ، أَوْ نَظَرْتَ؟» [2] .

إذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ
فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِزَلَّتِهِ عُذْرَا



(١) الْغَمْزُ: الإشَارَةُ بِالْعَيْنِ أَوِ الْيَدِ، أَوِ الْمُرَادُ بِهِ: وَضْعُ الْيَدِ فِي عُضْوِ الْغَيْرِ، وَبَابُهُ : ضَرَبَ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٨٢٤).



بَلْ إنَّ الْعَفْوَ طَرِيقٌ إلَىٰ الْعِزِّ وَالرِّفْعَةِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا»[١].

اقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا
إنْ بَرَّ[٢] عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرَا[٣]

لَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ
وَقَدْ أَجَلَّكَ[٤] مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرَا[٥]

وَلا يُلامُ مَنْ خَضَعَ لأَخِيهِ فِي اعْتِذَارِهِ؛ فَلا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إلاَّ رِفْعَةً؛ لأَنَّهُ إنْ كَانَ الْمُعْتَذَرُ إلَيْهِ كَرِيمًا، فَسَوْفَ يَقْبَلُ الْعُذْرَ، بَلْ سَيَعْذِرُهُ ابْتِدَاءً مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، وَإنْ كَانَ لَئِيمًا كَانَ هُوَ الْجَانِي عَلَىٰ نَفْسِهِ لا الْمُعْتَذِرُ.

---

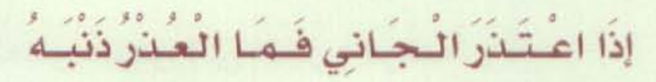
(١) رَوَاهُ مُسْلِم (٢٥٨٨).

(٢) بَرَّ فِي عُذْرِهِ: صَدَقَ، وَبَابُهُ: عَلِمَ.

(٣) فَجَرَ: كَذَبَ، وَبَابُهُ: دَخَلَ.

(٤) أَجَلَّكَ: أَعْظَمَكَ وَكَبَّرَكَ وَاحْتَرَمَكَ.

(٥) مُسْتَتِرًا، أَيْ: فِي غَيْبَتِكَ وَعَدَمِ رُؤْيَتِكَ إيَّاهُ.



إذَا اعْـتَـذَرَ الْـجَـانِي فَـمَـا الْـعُـذْرُ ذَنْبَـهُ

وَكَــانَ الَّذِي لا يَقْــبَلُ الْعُــذْرَ جَــانِيَــا

وَكِرَامُ النَّاسِ يَقْضُونَ هَذَا الحَقَّ، وَيَجْعَلُونَ الْمُعْتَذِرَ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، ثُمَّ جَاءَ يَعْتَذِرُ عَنْ إِسَاءَتِهِ، فَإِنَّ التَّوَاضُعَ يُوجِبُ عَلَيْكَ قَبُولَ مَعْذِرَتِهِ - حَقًّا كَانَتْ أَوْ بَاطِلاً -، وَتَكِلُ سَرِيرَتَهُ إِلَى اللهِ - تَعَالَى -»[١].

وَقَالَ - أَيْضًا -: «وَعَلامَةُ الْكَرَمِ وَالتَّوَاضُعِ أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ الْخَلَلَ فِي عُذْرِهِ لا تُوقِفُهُ عَلَيْهِ، وَلا تُحَاجُّهُ، وَقُلْ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ»[٢].

فَـعُـذْرُكَ مَـبْـسُـوطٌ[٣] لِذَنْبٍ مُـقَـدَّمٍ

وَوُدُّكَ مَــقْــبُــولٌ بِأَهْلٍ وَمَــرْحَبِ[٤]

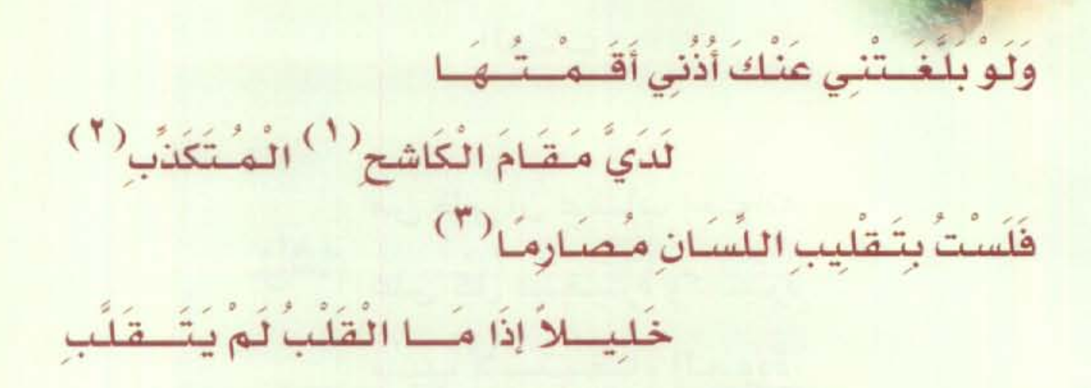
---

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (١/٤٣٣).

(٢) المَرْجِعُ السَّابِقُ (٤٣٣).

(٣) بَسْطُ الْعُذْرِ: قَبُولُهُ، وَبَابُهُ: نَصَرَ.

(٤) قَوْلُهُمْ فِي التَّحِيَّةِ: أَهْلاً وَمَرْحَبًا. أَيْ: أَتَيْتَ أَهْلاً، وَأَتَيْتَ سَعَةً؛ فَاسْتَأْنِسْ وَلا تَسْتَوْحِشْ.



وَلَوْ بَلَّغَتْنِي عَنْكَ أُذْنِي أَقَمْتُهَا

لَدَيَّ مَقَامَ الْكَاشِحِ (١) الْمُتَكَذِّبِ (٢)

فَلَسْتُ بِتَقْلِيبِ اللِّسَانِ مُصَارِمًا (٣)

خَلِيلاً إِذَا مَا الْقَلْبُ لَمْ يَتَقَلَّبِ



---

(١) الْكَاشِحُ: الَّذِي يُضْمِرُ لَكَ الْعَدَاوَةَ، وَبَابُهُ: قَطَعَ.

(٢) الْمُتَكَذِّبُ: الْمُتَكَلِّفُ لِلْكَذِبِ.

(٣) مُصَارِمًا: مُقَاطِعًا.



الْعِتَابُ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ عِتَابَ إِخْوَانِهِ عَلَىٰ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ سَبَبٌ لاسْتِبْقَاءِ الْمَوَدَّةِ، وَالْحِفَاظِ عَلَىٰ الأُخُوَّةِ.

وَالَّذِي عَلَيْهِ الْعُقَلاءُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ الْعِتَابَ إِذَا كَثُرَ مَجَّتْهُ(١) النُّفُوسُ، وَأَثْمَرَ الْعَدَاوَةَ، كَمَا قِيلَ:

فَدَعِ الْعِتَابَ؛ فَرُبَّ شَرٍّ هَاجَ أَوَّلُهُ الْعِتَابُ

وَقَدْ يَكُونُ الْعِتَابُ جَمِيلاً فِي مَقَامٍ وَحَالٍ لا يُوَفَّقُ لَهُ إِلاَّ خَبِيرٌ بِسِيَاسَةِ النُّفُوسِ.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ - رَحِمَهُ اللهُ - :

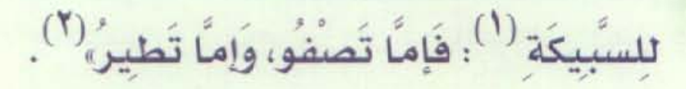
«الْعِتَابُ لِلصَّدِيقِ كَالسَّبْكِ(٢)



---

(١) مَجَّتْهُ: لَفَظَتْهُ وَلَمْ تَقْبَلْهُ، وَبَابُهُ: رَدَّ.

(٢) سَبَكَ الذَّهَبَ وَنَحْوَهُ مِنَ الذَّائِبِ: ذَوَّبَهُ وَأَفْرَغَهُ فِي قَالَبٍ، وَبَابُهُ: ضَرَبَ وَنَصَرَ.



لِلسَّبِيكَةِ [1]: فإمَّا تَصفُو، وإمَّا تطِيرُ» [2].

وَيَتَأَكَّدُ الْعِتَابُ إذَا كَانَ بِدُونِهِ يَحْصُلُ الْحِقْدُ.

قَالَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ - رَحِمَهُ اللهُ -: «الْعِتَابُ مِفْتَاحُ التَّعَالِي، وَالْعِتَابُ خَيْرٌ مِنَ الْحِقْدِ» [3].

قَالَ الْمُتَنَبِّي:

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ
فَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ [4]

وَقَالَ آخَرُ:

أُعَاتِبُ ذَا الْمَوَدَّةِ مِنْ صَدِيقٍ
إذَا مَا رَابَنِي [5] مِنْهُ اغْتِرَابُ
إذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وُدٌّ
وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ

---

(١) السَّبِيكَةُ: الْقِطْعَةُ الْمُذَوَّبَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالْجَمْعُ السَّبَائِكُ.

(٢) «الأَخْلَاقُ وَالسِّيَرُ» (١١٥).

(٣) «السِّيَرُ» (٤/٩٤).

(٤) الْعِلَلُ: جَمْعُ عِلَّةٍ - بِالْكَسْرِ -، وَهِيَ الْمَرَضُ.

(٥) رَابَنِي الأَمْرُ: شَكَّكَنِي وَأَوْجَبَ عِنْدِي رِيبَةً وَتُهَمَةً، وَبَابُهُ: بَاعَ، وَرِيبَةً - أَيْضًا بِالْكَسْرِ -.

وَلا يَحْسُنُ وَلا يَجْمُلُ أَنْ تُعَاتِبَ مَنْ يَمَلُّ صُحْبَتَكَ، وَيُعْرِضُ عَنْ أُخُوَّتِكَ، كَمَا قِيلَ:

أَقْلِلْ عِتَابَ مَنِ اسْتَرَبْتَ بِوُدِّهِ[(١)]
لَيْسَتْ تُنَالُ مَوَدَّةٌ بِعِتَابِ

وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا أَنْتَ عَاتَبْتَ الْمَلُولَ[(٢)] فَإِنَّمَا
تَخُطُّ عَلَىٰ صُحُفٍ مِنَ الْمَاءِ أَحْرُفَا

وَهَبْهُ[(٣)] ارْعَوَى[(٤)] بَعْدَ الْعِتَابِ، أَلَمْ تَكُنْ
مَوَدَّتُهُ طَبْعًا، فَصَارَتْ تَكَلُّفَا؟!



(١) اسْتَرَبْتَ بِوُدِّهِ: رَأَيْتَ مِنْهُ مَا يَرِيبُكَ وَيُشَكِّكُكَ.
(٢) الْمَلُولُ: مَنْ يَمَلُّ وَيَسْأَمُ إِخْوَانَهُ سَرِيعًا.
(٣) هَبْ: فِعْلُ أَمْرٍ جَامِدٌ، بِمَعْنَىٰ: ظُنَّ وَافْتَرِضْ.
(٤) ارْعَوَى: انْكَفَّ وَانْزَجَرَ وَنَزَعَ.



الْمَوَاعِيدُ

وَاهِمٌ مَـنْ ظَـنَّ أَنَّ إخْـلافَ الْمَوَاعِيدِ لا يَعْدُو[1] أَنْ يَكُونَ شَيْئًا عَابِرًا، فَالوَعْدُ مَبْذُولٌ، وَالوَفَاءُ مَمْطُولٌ[2] .

فَمَنْ لِي بِإقْنَاعِ رَجُلٍ أُصِيبَ فِي أَخْلاقِهِ أَنَّ الْوَفَاءَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الأَنْبِيَاءِ؟.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ [مريم: ٥٤].

كَمَا أَنَّ إخْلافَ الْوَعْدِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ.

فَفِي « الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -:

(١) لا يَعْدُو: لا يُجَاوِزُ، وَبَابُهُ: قَالَ.

(٢) مَمْطُولٌ: مُسَوَّفٌ، وَقَدْ مَطَلَهُ مِنْ بَابِ نَصَرَ.



«آيَةُ (١) الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٢).

فَإِذَا اجْتَمَعَ فِي الشَّخْصِ الْكَذِبُ وَخُلْفُ الْوَعْدِ، فَالْخِيَانَةُ مِنْهُ قَرِيبٌ إِنْ لَمْ يَنْزِعْ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ
لا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامِ

أَنْعِمْ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكَرُّمًا
فَالْمَطْلُ يُذْهِبُ بَهْجَةَ الإِنْعَامِ

وَقَالَ آخَرُ:

وَمِيعَادُ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنٌ
فَلا تَزِدِ الْكَرِيمَ عَلَى السَّلامِ



---

(١) الآيَةُ: الْعَلامَةُ، وَالْجَمْعُ آيَاتٌ، وَآيٌ، وَآيَايٌ، وَجَمْعُ الْجَمْعِ آيَاءٌ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣)، وَمُسْلِمٌ (٥٩)، وَاللَّفْظُ لَهُ.



يُذَكِّرُهُ سَلامُكَ مَا عَلَيْهِ

وَيُغْنِيكَ السَّلامُ عَنِ الْكَلامِ

وَقَالَ السَّابُورِيُّ:

لا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا

وَلا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلا





مِنْ أَيْنَ يَأْتِي فَسَادُ الأَوْلادِ؟

وَاهِمٌ مَنْ تَخَلَّى عَنْ تَرْبِيَةِ أَوْلادِهِ، وَتَعْلِيمِهِمْ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَيَقِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ فِي آخِرَتِهِمْ، ثُمَّ يَرُدُّ سَبَبَ فَسَادِهِمْ وَانْحِرَافِهِمْ لِغَيْرِهِ؛ لِيَنْجُوَ بِجِلْدِهِ، وَهَيْهَاتَ «أَنْفُكَ مِنْكَ، وَإِنْ كَانَ أَجْدَعَ(١)» (٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «أَكْثَرُ الأَوْلادِ إِنَّمَا جَاءَ فَسَادُهُمْ مِنْ قِبَلِ الآبَاءِ، وَإِهْمَالِهِمْ لَهُمْ، وَتَرْكِ تَعْلِيمِهِمْ فَرَائِضَ الدِّينِ وَسُنَنَهُ، فَأَضَاعُوهُمْ صِغَارًا، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا

---

(١) أَنْفٌ أَجْدَعُ: مَقْطُوعٌ، وَبَابُهُ: مَنَعَ.

(٢) مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَبْرَأَ مِنْ ذَوِيهِ، فَالإِنْسَانُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَصِلَ عَنْ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ، مَهْمَا كَانَ ذَلِكَ الْعُضْوُ قَبِيحًا، فَكَذَلِكَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَصِلَ عَنْ أَهْلِهِ.

بِأَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَنْفَعُوا آباءَهُمْ كِبارًا، كَمَا عَاتَبَ بَعْضُهُمْ وَلَدَهُ عَلَىٰ الْعُقُوقِ، فَقَالَ: يَا أَبَتِ، إِنَّكَ عَقَقْتَنِي صَغِيرًا؛ فَعَقَقْتُكَ كَبِيرًا، وَأَضَعْتَنِي صَغِيرًا؛ فَأَضَعْتُكَ شَيْخًا»[1].

خَيْرُ مَا وَرَّثَ الرِّجَالُ بَنِيهِمْ
أَدَبٌ صَالِحٌ وَطِيبُ ثَنَاءِ
هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالأَوْ
رَاقِ[2] فِي يَوْمِ شِدَّةٍ وَرَخَاءِ
تِلْكَ تَفْنَىٰ، وَالْعِلْمُ وَالأَدَبُ الصَّا
لِحُ لا يَفْنَيَانِ حَتَّىٰ اللِّقَاءِ[3]
إِنْ تَأَدَّبْتَ - يَا بُنَيَّ - صَغِيرًا
صِرْتَ يَوْمًا تُعَدُّ فِي النُّبَلاءِ

---

(١) «تُحْفَةُ الْمَوْدُودِ» (٣٨٧).

(٢) الأَوْرَاقُ: جَمْعُ وَرِقٍ - مُثَلَّثَةً، وَكَكَتِفٍ، وَجَبَلٍ -، وَهِيَ الدَّرَاهِمُ الْمَضْرُوبَةُ مِنَ الْفِضَّةِ.

(٣) اللِّقَاءُ، أَيْ: يَوْمُ لِقَاءِ اللهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَإذَا مَـــا أَضَـــعْتَ نَفْـــسَكَ أُلْفِـــيْـ

ـتَ(١) كَبِيرًا فِي زُمْرَةِ(٢) الْغَوْغَاءِ(٣)

لَيْسَ عَطْفُ الْقَضِيبِ(٤) إنْ كَانَ رَطْبًا

وَإذَا كَـــانَ يَابِسًـــا بِسَـــوَاءِ

---

(١) أُلْفِيتَ: وُجِدْتَ.

(٢) الزُّمْرَةُ - بِالضَّمِّ -: الْفَوْجُ وَالْجَمَاعَةُ، وَالْجَمْعُ زُمَرٌ.

(٣) الغَـوْغَـاءُ - بِالْفَـتْـحِ -: أَصْلُهُ الْجَـرَادُ بَعْـدَ أَنْ يَنْبُتَ جَنَاحُهُ، فَيَخِفَّ لِلطَّيَرَانِ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِلسَّفَلَةِ مِنَ النَّاسِ وَالْمُتَسَرِّعِينَ إلَى الشَّرِّ.

(٤) الْقَضِيبُ: الْغُصْنُ، وَالْجَمْعُ قُضْبَانٌ - بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ -.



تَوْجِيهُ الأَوْلادِ إلَىٰ مَا هُمْ مُهَيَّئُونَ لَهُ

وَاهِمٌ مَنْ يُكَلِّفُ أَبْنَاءَهُ خِلافَ مَا هُمْ مُسْتَعِدُّونَ لَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ تَمَرُّدِهِمْ.

فَالْمُرَبِّي الْحَكِيمُ مَنْ يُرَاعِي قُدْرَةَ أَبْنَائِهِ، وَيُوَجِّهُ كُلاًّ بِحَسَبِهِ، وإلَىٰ مَا يُحْسِنُهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَهَّدَ حَالَ الصَّبِيِّ، وَمَا هُوَ مُسْتَعِدٌّ لَهُ مِنَ الأَعْمَالِ، وَمُهَيَّأٌ لَهُ مِنْهَا، فَيَعْلَمَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ لَهُ، فَلا يَحْمِلْهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ، مَا كَانَ مَأْذُونًا فِيهِ شَرْعًا؛ فَإِنَّهُ إنْ حَمَلَهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَا هُوَ مُسْتَعِدٌّ لَهُ لَمْ يُفْلِحْ، وَفَاتَهُ مَا هُوَ مُهَيَّأٌ لَهُ»[١].

---

(١) «تُحْفَةُ المَوْدُودِ» (٢٤٣).



الرُّجُولَةُ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الرُّجُولَةَ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ كَسْبٌ يُعِفُّ بِهِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ غَايَةُ مُنْتَهَى الرُّجُولَةِ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الرُّجُولَةَ، فَقَدِ اسْتَرَاحَ مِنْ لا عَقْلَ لَهُ.

قَالَ حَاتِمٌ الطَّائِيُّ:

لَحَى اللهُ(١) صُعْلُوكًا(٢) مُنَاهُ وَهَمُّهُ
مِنَ الْعَيْشِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا(٣) وَمَطْعَمَا!

وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا مَا الْفَتَى لَمْ يَبْغِ إِلاَّ لِبَاسَهُ
وَمَطْعَمَهُ، فَالْخَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ

---

(١) لحَاهُ اللهُ: قَبَّحَهُ وَلَعَنَهُ، وَبَابُهُ : قَطَعَ.

(٢) الصُّعْلُوكُ - بِزِنَةِ الْعُصْفُورِ -: الْفَقِيرُ، وَالْجَمْعُ الصَّعَالِيكُ.

(٣) اللَّبُوسُ: مَا يُلْبَسُ.





فَالرُّجُولَةُ أَعْلَىٰ صِفَاتِ الذُّكُورَةِ.

قَالَ اللَّه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النُّورُ: ٣٦ - ٣٧].

قَالَ اللَّه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأَحْزَابُ: ٢٣].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «كَمَلَ [(١)] مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ [(٢)] عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ» [(٣)].

---

(١) الْمُرَادُ بِالْكَمَالِ: التَّنَاهِي فِي جَمِيعِ الْفَضَائِلِ وَصِفَاتِ الذُّكُورَةِ.

(٢) الثَّرِيدُ - بِزِنَةِ الأَمِيرِ -: الطَّعَامُ الْمُتَّخَذُ مِنَ الْخُبْزِ الْفَتِيتِ مَخْلُوطًا بِلَحْمٍ، وَقَدْ كَانَ أَجَلَّ طَعَامِ الْعَرَبِ، كَمَا قَالَ خُلَيْجٌ الأَعْيُونِيُّ:

إِذَا مَا الْخُبْزُ تَأْدِمُهُ بِلَحْمٍ ... فَذَاكَ - أَمَانَةُ اللَّهِ - الثَّرِيدُ

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٦٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٣٨)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلاً، لَمْ أَمَسَّهُ حَتَّىٰ آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ؟.

قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «نَعَمْ». قَالَ: كَلاَّ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ كُنْتُ لأُعَاجِلُهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «اسْمَعُوا إِلَىٰ مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ، إِنَّهُ لَغَيُورٌ، وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي» (١).

فَدَلَّ الْحَدِيثُ بِمَنْطُوقِهِ وَمَفْهُومِهِ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي لا يَغَارُ عَلَىٰ أَهْلِهِ لَيْسَ رَجُلاً، وَأَنَّ الْغَيْرَةَ لَتَدُلُّ عَلَىٰ الرُّجُولَةِ الْكَامِلَةِ، كَمَا أَنَّ الدِّيَاثَةَ (٢) لَتَدُلُّ عَلَىٰ الْفُسُولَةِ وَالرُّجُولَةِ الْمُنْحَطَّةِ (٣).



---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٩٨).

(٢) الدِّيَاثَةُ - بِالْكَسْرِ -: عَدَمُ الْغَيْرَةِ عَلَىٰ الأَهْلِ وَاللاَّمُبَالاَةُ بِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ.

(٣) الْفُسُولَةُ: النَّذَالَةُ وَالرَّذَالَةُ.



قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا كَانَتِ الْعَذْرَاءُ لِتُبْدِي سِتْرَهَا
لَوْ كَانَ فِي هَذْي الْجُمُوعِ رِجَالُ

وَقَالَ الْمُتَنَبِّي:

يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا
وَتَسْلَمُ أَعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ





آتِي الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ

وَاهِمَةٌ مَنْ تَظُنُّ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لا يَأْتِي الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَيَطْلُبُهَا مِنْ أَبِيهَا - طَالِبُ زَوَاجٍ.

بَيْنَمَا هُوَ - فِي الْوَاقِعِ - يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَهَا لَحْمًا، وَيَرْمِيَهَا عَظْمًا، أَمَّا الزَّوَاجُ فَهَيْهَاتَ؛ فَالرَّجُلُ لا يَرْضَى أَنْ يَقْتَرِنَ بِامْرَأَةٍ مُسْتَعْمَلَةٍ، حَتَّى لَوْ كَانَ هُوَ مَنِ اسْتَعْمَلَهَا؛ لأَنَّ مَنْ وَقَعَتْ فِي الْحَرَامِ مَعَهُ - وَلَوْ مُغَازَلَةً بَرِيئَةً - لَنْ يَمْنَعَهَا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ مَعَ غَيْرِهِ، وَمَنْ خَانَتْ أَهْلَهَا فَلَنْ يَمْنَعَهَا مِنْ خِيَانَةِ زَوْجِهَا شَيْءٌ، هَذَا مَا يُفَكِّرُ بِهِ الرَّجُلُ، وَحَتَّى لَوْ تَابَتْ، فَالشُّكُوكُ مُسْتَحْكَمَةٌ.



إذَا وَقَعَ الذُّبَابُ عَلَىٰ طَعَامٍ
رَفَعْتُ يَدِي وَنَفْسِي تَشْتَهِيهِ
وَتَجْتَنِبُ الأُسُودُ وُرُودَ مَاءٍ
إذَا رَأَتِ الْكِلابَ وَلَغْنَ(١) فِيهِ

فَالرَّجُلُ لا يُحِبُّ الزَّوَاجَ إلاَّ مِنَ الَّتِي امْتَنَعَتْ، حَتَّىٰ مِنَ الْحَدِيثِ مَعَهُ، فَهِيَ كَاللُّؤْلُؤَةِ لا تَعْلُو عَلَىٰ الأَعْنَاقِ إلاَّ بِحَقِّهَا.



(١) وَلْغُ الْكِلابِ: شُرْبُهَا بِأَطْرَافِ أَلْسِنَتِهَا.



حُقُوقُ الْمَرْأَةِ

وَاهِمٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ حُقُوقَ الْمَرْأَةِ حِكْرٌ عَلَىٰ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالْمُفْسِدِينَ.

فَحُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، وَالنُّصُوصُ حَافِلَةٌ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْفَضِيلَةِ وَالْعَفَافِ، وَالسَّتْرِ وَالْحَيَاءِ، وَحَافِلَةٌ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ تَعْلِيمِهَا وَتَثْقِيفِهَا بِمَا لاَ يُخَالِفُ طَبِيعَتَهَا، حَافِلَةٌ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ صِيَانَتِهَا، وَإِعْزَازِهَا وَإِكْرَامِهَا كَأُمٍّ، وَأُخْتٍ، وَزَوْجَةٍ، وَابْنَةٍ.

وَحُقُوقُهَا عِنْدَ هَؤُلاءِ الْمُفْسِدِينَ فِي تَغْرِيبِهَا وَتَحَلُّلِهَا، ابْتِدَاءً مِنَ السُّفُورِ[1] وَالاخْتِلاطِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ قَوَامَةِ الرَّجُلِ وَالْمَحْرَمِ؛ لِيَخْلُوَ لَهُمُ الْجَوُّ.

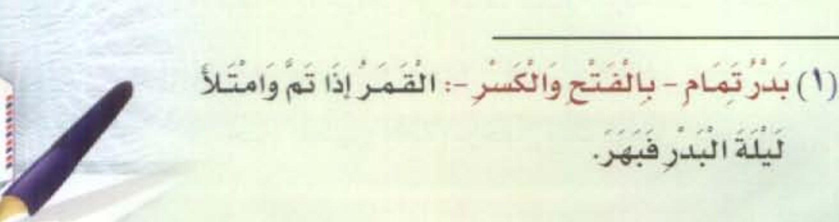
وَصَدَقَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - الْقَائِلُ: ﴿ يُرِيدُ



(١) السُّفُورُ: كَشْفُ الْوَجْهِ وَإِلْقَاءِ النِّقَابِ عَنْهُ، وَبَابُهُ : جَلَسَ.

اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (٢٧) ﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٧].

قَالُوا لَهَا: إنَّ الحَيَاةَ كَرِيهَةٌ
إنْ لَمْ تَكُنْ مَعْمُورَةً بِغَرَامِ
قَالُوا لَهَا فِي خِسَّةٍ وَحَقَارَةٍ:
حَتَّىٰ مَتَىٰ تُبْلَىٰ بِلُبْسِ خِيَامِ؟!
قَالُوا: نُرِيدُ لأُخْتِنَا حُرِّيَّةً
وَإلَىٰ مَتَىٰ سَتَعِيشُ عَصْرَ ظَلامِ؟!
قَالُوا: مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي لا يُرْتَضَىٰ
أَنْ يَرْتَدِي الْجِلْبَابَ بَدْرُ تَمَامِ[1]
خُدِعَتْ بَنَاتُ المُسْلِمِينَ بِدَعْوَةٍ
فَسَقَتْ بِلا وَعْيٍ إلَىٰ الأَوْهَامِ



(١) بَدْرُ تَمَامٍ - بِالفَتْحِ وَالكَسْرِ -: القَمَرُ إذَا تَمَّ وَامْتَلأَ لَيْلَةَ البَدْرِ فَبَهَرَ.

وَبَدَتْ فَتَاةُ الْحَقِّ سِلْعَةَ فِكْرَةٍ

لَمِجَلَّةٍ فِي فِكْرِهَا الْهَدَّامِ

أُخْتَاهُ، كَيفَ ظَنَنْتِ أَنَّ مُعَرْبِداً[١]

يَسْعَى بِمُؤْمِنَةٍ لأَمْرٍ سَامِ؟!

أُخْتَاهُ، كَمْ يَرْجُو اللَّئِيمُ خُرُوجَهَا

لِتَكُونَ نَهْبَاً لِلْفُؤَادِ الظَّامِي

أُخْتَاهُ، لا يُرْجَى دَوَاءٌ نَاجِعٌ[٢]

مِنْ كَفِّ مَنْ يَشْكُو مِنَ الأَسْقَامِ[٣]

قَدْ يَدَّعِي مَعْنَى الْعَفَافِ مُخَادِعٌ

وَيَصُوغُ فَلْسَفَةَ الأَمَانِ حَرَامِي[٤]

---

(١) الْمُعَرْبِدُ: السَّيِّئُ الْخُلُقِ السِّكِّيرُ.

(٢) نَاجِعٌ: نَافِعٌ مُؤَثِّرٌ، وَبَابُهُ: خَضَعَ.

(٣) الأَسْقَامُ: الأَمْرَاضُ، وَاحِدُهَا سُقْمٌ -بِزِنَةِ قُفْلٍ، وَجَبَلٍ-.

(٤) الْقَصِيدَةُ لِلدُّكْتُورِ/ نَاصِرِ الزَّهْرَانِيِّ، انْظُرْ كِتَابَ «حَيَاةُ الطُّهْرِ» لأَمَةِ الرَّحْمَنِ بِنْتِ فَيْصَلِ الْحَاشِدِيِّ.



دُعَاةُ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ

مَـا أَعْظَمَ أَوْهَامَ دُعَـاةِ تَحْـرِيرِ الْمَـرْأَةِ!،
يُكَلِّفُونَهَا مَا يَعْجَزُونَ عَنْهُ، وَيُمْضُونَ لَيْلَهُمْ
وَنَهَارَهُمْ فُضُولِيِّينَ(١) بِأَمْرِهَا.

وَرُبَّمَا عَجَزَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَأْتِيَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَعْظَمَ شَيْطَنَةٍ(٢)، فَاذْكُرْ مَوْلَاكَ، تَعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَا يَزَالُ يُفْرِيكَ بِالْمِقْرَاطِ كَمَنْ تَوَلَّى عَنْكَ وَلَهُ ضُرَاطٌ.

حَـدَثٌ - وَرَبِّكَ - لِلْبِـلَادِ يُدَبَّرُ
وَمَصَائِبُ تَتْرَى(٣)، فَأَيْنَ الْمَعْبَرُ؟!
وَغَـوَايَةٌ فِي حِينِ شَـأْنُهَـا
مُـتَلَوِّنٌ مُـتَـذَبْذِبٌ مُـتَـغَيِّرُ



(١) الْفُضُولِيُّ - بِضَمَّتَيْنِ -: الْمُشْتَغِلُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ.
(٢) الشَّيْطَنَةُ: أَنْ يَفْعَلَ الإِنْسَانُ فِعْلَ الشَّيْطَانِ.
(٣) تَتْرَى: مُتَوَاتِرَةٌ مُتَتَابِعَةٌ، بَيْنَ كُلِّ مُصِيبَتَيْنِ فَتْرَةٌ.

نَادَىٰ بِهَا الأَعْدَاءُ وَقْتَ قَلاقِلٍ

وَشِعَارُهُمْ فِي الْخَافِقَيْنِ (١) تَحَرُّرُ

كَذَبُوا - وَرَبِّ الْبَيْتِ - لَيْسَ تَحَرُّرًا

بَلْ إِنَّهُ الْكَسْرُ الَّذِي لا يُجْبَرُ

جَعَلُوا النِّسَاءَ مَطِيَّةً لِمُرَادِهِمْ

وَتَسَتَّرُوا فِي زِيِّنَا (٢) وَتَدَثَّرُوا (٣)

خَدَعُوكِ - يَا أُخْتَاهُ بِالْخُطَبِ الَّتِي

طَابَ الْبِنَاءُ بِهَا، وَسَاءَ الْمَخْبَرُ (٤)

وَرَكَضْتِ فِي عَجَلٍ دُونَ تَفَكُّرٍ

وَهُمُ الَّذِينَ سَعَوْا لِذَاكَ وَفَكَّرُوا

وَرَمَيْتِ طُهْرَكِ وَالْحَيَاءُ مُجَنْدَلٌ

يَبْكِي وَيَصْرُخُ وَالْمَدَامِعُ تُنْثَرُ

يَا أُخْتُ، أَنْتِ الأُمُّ حِينَ نُرِيدُهَا

تَبْنِي لَنَا الْجِيلَ الَّذِي لا يُقْهَرُ



---

(١) الخَافِقَيْن: الْمَشْرِق وَالْمَغْرِب.

(٢) الزِّيُّ - بِالْكَسْرِ -: اللِّبَاسُ، وَالْهَيْئَةُ، وَالْجَمْعُ أَزْيَاءٌ.

(٣) تَدَثَّرُوا: تَلَفَّفُوا وَتَغَطَّوْا.

(٤) المَخْبَرُ: خِلافُ الْمَنْظَرِ.



يَا أُخْتُ، أَنْتِ الْبُرْءُ لِلْجُرْحِ الَّذِي
يَقْضِي عَلَىٰ أَحْلامِنَا ويُدَمِّرُ
عُودِي إِلَىٰ التَّارِيخِ، وَاقْتَبِسِي الضِّيَاءَ
سِيَرُ النِّسَاءِ مَعَ الْعَقِيدَةِ تَزْهَرُ(١)
إِنَّ التَّشَتُّتَ وَالْهَلاكَ لأُمَّتِي
أَنْ يَخْرُجَ الْوَجْهُ الطَّهُورُ وَيَسْفِرُ(٢)



(١) تَزْهَرُ: تَتَلأْلأُ، وَبَابُهُ خَضَعَ.

(٢) الشِّعْرُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَقْلِ، انْظُرْ «حَيَاةَ الطُّهْرِ».



(فهرس)



